

الابتعاث

تاريخه ، وآثاره

تأليف

د. عبد العزيز بن أحمد البداح

الطبعة الثانية

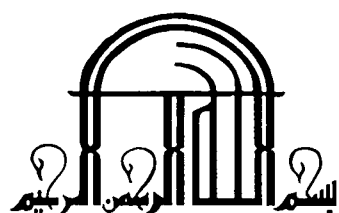
مزيدة ومنقحة وفيها إضافات مهمة

محفوظة
جميع الحقوق

الطبعة الثانية

مزيدة ومنقحة وفيها إضافات مهمة

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م



مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذه هي الطبعة الثانية لرسالتي: (الابتعاث تاريخه وآثاره)، أنشرها بعد أن نفذت الطبعة الأولى في زمن وجيز - والله الحمد والمنة على ذلك - وقد أعدت النظر فيها، وزدت فيها زيادات مهمة. أسأل الله أن ينفع بها، ويجعلها خالصة لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب.

وصلّى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.

وكتبه: عبد العزيز بن أحمد البдах

١٤٣٢/٢/٢٨ هـ

al.bedah@hotmail.com

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الله سبحانه أكمل لهذه الأمة دينها ورضيه لها، ﷺ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﷻ المائدة: ١٣.

وقضى سبحانه بالعزة لها، فقال سبحانه: ﷻ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﷻ المنافقون: ١٨.

فأمة الإسلام خير الأمم وأفضلها: ﷻ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﷻ آل عمران: ١١٠،

ودينها خاتم الأديان وأحسنها: ﷻ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﷻ آل عمران: ٨٥.

ولذا فحقيق بمن انتسب لهذا الدين ورضي به أن يمتلئ قلبه اعتزازاً

به، وحباً له، وغيره عليه؛ وذلك من علامات الإيمان. وكلما وقر الإيمان في القلب زاد حظ المؤمن من ذلك، وإذا ضعف الإيمان ضعفت هذه الآثار، والناس في هذا بين مستقل ومستكثر.

وفي هذه السنين المتأخرة لما ضعف الإيمان في القلوب، أصاب أهله الهوان، وحلّ بهم الذل، ووقعوا فيما يسمى بالهزيمة النفسية، فكان من آثار ذلك: ضعف الولاء والبراء، والتشبه بغير المسلمين، والإعجاب بهم، والتلقي عنهم. ومُسخت طوائف من الناس فأخذت عن الأعداء كل ما يضر ويسوء... فكروا وعقيدة وسلوكا.

لقد أراد الله بهذه الأمة خيراً، واختار فثام من الناس لها شراً، وأراد الله لهم عزاً، واختاروا لأنفسهم ذلاً وهواناً، ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ الحج: ١٨.

وزاد الأمر سوءاً في تبعية هؤلاء لأعدائهم وضعف اعتزازهم بدينهم ما أصاب الأمة من ضعف مادي وتخلف تقني قابل ذلك قوة الأعداء وتقدمهم المادي، فوجد المنافقون والمستغربون الفرصة في الكيد للإسلام وأهله بنسبة ضعف المسلمين لدينهم، وقوة الكفار لثقافتهم، فدعوا أهل الإسلام إلى ترك دينهم والإقبال على ما عند الكفار والتلقي عنهم في الفكر والأخلاق والسلوك، وفتحوا عليهم أبواباً كثيرة لأجل ذلك، كان من أشدها أثراً وتأثيراً، ابتعاث النشء من الذكور والإناث للدراسة في بلاد الكفار.

ونظراً لما حصل من توسع كبير في هذا الأمر وتساهل في ضوابطه، مع ظهور بعض آثاره النكدة، أردت أن أكتب رسالة تحذير لأمتي ونصح

لها تتضمن خطورة الابتعاث على الدين، وجنائه على الأخلاق والسلوك، وتهديده للانتماء الوطني.

وتتنظم هذه الرسالة في مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة وثلاثة ملاحق، وهي:

التمهيد: وذكرت فيه موقف الإسلام من العلم، وأقسام العلوم، والموقف من العلوم المادية.

الفصل الأول: بدايات الابتعاث في بلاد الإسلام وأصل فكرته.

الفصل الثاني: آثار الابتعاث.

الفصل الثالث: أقوال علماء الإسلام ودعائه في التحذير من مخاطر الابتعاث.

الفصل الرابع: ضوابط الابتعاث عند الاحتياج إليه.

الفصل الخامس: موقف المستغربين من الابتعاث.

وأما الملاحق فهي:

الملحق الأول: نص قرار مجلس هيئة كبار العلماء رقم (٨٨) وتاريخ ١١/١١/١٤٠١هـ بشأن الابتعاث.

الملحق الثاني: فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء رقم (٢٣٥٨) بشأن حكم الدراسة في الخارج.

الملحق الثالث: بيان الشيخ العلامة عبد المحسن بن حمد العباد بشأن خطورة التوسع في الابتعاث على بلاد الحرمين.

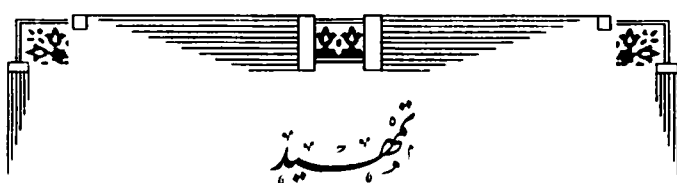
ولا يفوتني أن أشكر الأخ الكريم الشيخ الفاضل: أحمد بن فيصل الفيصل على إعارتي بعض الكتب والمصادر المهمة فجزاه الله عني

خير الجزاء.

والله أسأل التوفيق في القول والعمل ، وأن يعيذنا من مضلات
الأهواء والفتن ، وأن يجنبنا طريق المغضوب عليهم والضالين ، وصلى الله
وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.

وكتبه: عبدالعزيز بن أحمد البداح

al.bedah@hotmail.com



لقد أمر الله عز وجل المسلمين بالتعلم ورغبتهم فيه وحثهم عليه ،
ونصوص الوحيين في ذلك كثيرة معلومة.

والعلوم على قسمين: علم الشريعة ، وعلم ما عداها من العلوم
النافعة الأخرى.

وهذه العلوم النافعة التي لا محذور فيها يجب على طائفة من المسلمين
تعلمها وتحملها بما يسد حاجة المسلمين ويمكنهم من إقامة دينهم
ودنياهم^(١).

وقد كان لأمة الإسلام السبق في إدراك هذه العلوم وتحصيلها حتى
إن غيرهم من أمم الأرض استفادت منهم وتلقّت عنهم ، وتتابعت

(١) عن قسمي العلوم ، ينظر: مفتاح السعادة ، لابن القيم ، (١/٤٨١).

هجرات غير المسلمين إلى حواضر الإسلام لأخذ هذه العلوم ونقلها إلى ديارهم^(١).

وعلمو الشريعة إنما تؤخذ من أهلها من أهل الأمانة والديانة، كما قال ابن سيرين: "إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم"^(٢).

وقال القرطبي عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٢]: "وفي هذا دليل على منع المسلمين من مراجعة أهل الكتاب في شيء من العلم"^(٣).

والعلوم الأخرى كالطب والهندسة وغيرهما يجوز أخذها عن غير المسلمين إذا اقتضت الحاجة ذلك.

قال شيخ الإسلام: "فإن الصابئ الفيلسوف إذا ذكر ما عند قدماء

(١) ينظر :

- شمس العرب تسطع على الغرب، زيفريد هونكه، ص(١١٣).
- مجالي الإسلامي، حيد بامات، ص(١١٩).
- أثر الحضارة الإسلامية في الغرب، الدكتور : إسماعيل ياغي، ص(٣٤).
- أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية، أحمد علي، ص(١٠٧).
- الحضارة الإسلامية والحضارة الأوربية، الدكتور: توفيق الطويل، ص(١٥٥).
- الإسلام وأثره في نهضة الشعوب، محمود فايد، ص(٣٤).
- دور العلماء المسلمين في تطوير العلوم، إبراهيم القباني، ص(١٧).
- أثر العرب في الحضارة الأوربية، عبلى العقاد، ص(٢١).
- نور من الشرق، إبراهيم الكردي، ص(١٩).
- الإسلام تاريخ وحضارة، أنور الجندي، ص(١٩).

(٢) صحيح مسلم، (٢٦).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، (٢٤٩/١٣).

الصابئة الفلاسفة من الكلام - الذي عرّب وترجم بالعربية وذكره - إما صرفاً، وإما على الوجه الذي تصرف فيه متأخروهم بزيادة أو نقصان، وبسط واختصار، ورد بعضه وإتيان بمعناه آخر، ليست فيه ونحو ذلك، فإن ذكر ما لا يتعلق بالدين، مثل مسائل الطب والحساب المحض التي يذكرون فيها ذلك، وكتب من أخذ عنهم، مثل: محمد بن زكريا الرازي، وابن سينا ونحوهم من الزنادقة الأطباء ما غايته: انتفاع بآثار الكفار والمنافقين في أمور الدنيا، فهذا جائز. كما يجوز السكنى في ديارهم، ولبس ثيابهم وسلاحهم، وكما تجوز معاملتهم على الأرض، كما عامل النبي صلى الله عليه وسلم يهود خيبر، وكما استأجر النبي صلى الله عليه وسلم هو، وأبو بكر لما خرجا من مكة مهاجرين (ابن أريقط) - رجلاً من بني الدّيل - هادياً خريتا، والخريت الماهر بالهداية، واثمناه على أنفسهما ودوابهما، ووعداه غار ثور صبح ثلاثة... وكان أبو طالب ينصر النبي صلى الله عليه وسلم ويذب عنه مع شركه، وهذا كثير.

فإن المشركين وأهل الكتاب فيهم المؤمن، كما قال تعالى: ﴿لَا يَمُنُّ أَهْلُ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤْذِهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤْذِهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ [آل عمران: ٧٥].

ولهذا جاز ائتمان أحدهم على المال، وجاز أن يستطب مسلم الكافر إذا كان ثقة، نص على ذلك الأئمة كأحمد وغيره، إذ ذلك من قبول خبرهم فيما يعلمونه من أمر الدنيا وائتمان لهم على ذلك، وهو جائز إذا لم يكن فيه مفسدة راجحة، مثل ولايته على المسلمين وعلوه عليه ونحو ذلك.

فأخذ علم الطب من كتبهم مثل الاستدلال بالكافر على الطريق واستطبابه، بل هذا أحسن؛ لأن كتبهم لم يكتبوها لمعين من المسلمين حتى تدخل فيها الخيانة وليس هناك حاجة إلى أحد منهم بالخيانة، بل هي مجرد انتفاع بآثارهم، كالملابس والمساكن والمزارع والسلاح ونحو ذلك^(١).

ولم يزل علماء الإسلام والغيورون على دينهم والمخلصون لبلادهم يدعون إلى الاهتمام بالعلوم وتشجيع طلبتها، وتيسير سبلها، حتى تكون بلاد الإسلام مستغنية عن غيرها من الأمم، خارجة عن ربة التبعية والخضوع لغيرها، بل إنهم يعتبرون تأخر الأمة في تحصيل العلوم النافعة تقصيرا من الساسة وأصحاب القرار والرأي.

والحق أنه لم يكن الإسلام ولا علماءه ولا دعائه عقبة أمام تحصيل العلوم النافعة.

وطريق تحصيل العلوم واضح المعالم في الإسلام، فهو يدعو إلى تحصيل العلوم النافعة لتكون سبيلا إلى تحقيق الخلافة في الأرض وعبادة الله وحده لا شريك له ورفع الأمة وقوتها.

وفي أواخر الخلافة العثمانية ودخول الاحتلال بلاد الإسلام، نبت نابتة منتسبة للإسلام لكنها مقطوعة الصلة بثقافة الأمة وتراثها، وقامت دعوات التغريب والإلحاد والتبعية البغيضة في أكثر بلاد الإسلام، وراجت في الأمة كثير من المفاهيم المغلوطة حول العلاقة بين الإسلام والحضارة المادية، وخرجت كتابات موتورة تدعي محاربة الإسلام للتقنية والتطور والتحديث المادي وأنه يقف عقبة في سبيل ذلك، ونبت على ذلك الدعوة

(١) مجموع الفتاوى (٤/١١٣ - ١١٤).

للتغريب في مجالات الحياة كلها.

وهامت أمة الإسلام وتاهت منذ ما يزيد على مائة عام في سراييب ثقافة الغرب ومناهيمه وحضارته، ولم تخرج منها إلا بالقشور، ولم تظفر إلا بالفتات، الذي زادها تيتها وضياعا، وضعفا وشتاتا، فلا هي حافظت على إسلامها، وتمسكت بترائثها، ولا هي أدركت حضارة الغرب المادية.

لقد جرّ هؤلاء الموتورون الأمة نحو الغرب منذ ما يزيد على مائة عام، دعوها إلى الأخذ عنهم والتلقي منهم، فلم يزد الأمر على التكرار للدين ومظاهر التفسخ والانحلال التي فشت في الأمة، المتمثلة في خلع الحجاب والاختلاط بين الجنسين في أماكن العمل والتعليم... أما العلوم النافعة والتقنية المتقدمة والتطور المادي فلم يظفروا منها بشيء!! وهاهي مجتمعات المسلمين بسبب هؤلاء الظلاميين تعاني الضعف التقني والتراجع المادي.

وعلى الرغم من وضوح الصورة القائمة لتلك المفاهيم المغلوطة وبيروز آثارها النكدة في الأمة إلا أن طائفة من الأمة لا تزال تنشد ضالتها في الغرب ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ١٤٠].

إن علماء الإسلام ودعاته والغيورين على دينهم وأمتهم يرفضون ثقافة الغرب ولا يقبلون فكره ومفاهيمه الروحية والأخلاقية، لكنهم يرحبون بالتطور المادي والتقني، ويرونه حقا مشاعا، من سبق إليه فهو أحق به، ويدعون إلى مشروع توطين التقنية في بلاد الإسلام، وترك الاعتماد على الغرب.

وبهذا قامت في الأمة مدرستان:

♦ مدرسة الأصالة: التي تدعو إلى أن تأخذ الأمة والمجتمعات

الإسلامية فيها بأسباب القوة من التحصيل المعرفي والريادة العلمية، وإن اضطرت إلى الاستفادة من الغرب فهو في حدود المادة والتقنية فحسب، على أن يكون ذلك سبيلا للاستقلال والاستغناء.

❖ ومدرسة التبعية: التي تدعو إلى أن تنهل الأمة والمجتمعات الإسلامية من ثقافة الغرب وفكره ومفاهيمه، وترى أن طريق التحضر والتقدم المادي في الأخذ بثقافة القوم وفكرهم^(١).

فالمدرسة الأولى تفرق بين الثقافة الروحية والحضارة المادية، والمدرسة الثانية تمزج بينهما وتراهما شيئا واحدا.

ولذا فالبعثات العلمية إلى الغرب عند المدرسة الأولى وسيلة لتحصيل المعرفة تقتضيها حاجة الأمة والمجتمعات الإسلامية.

والبعثات العلمية عند المدرسة الثانية هدف في حد ذاته، يُقصد منه الأخذ بثقافة الغرب ونقلها إلى المجتمعات الإسلامية.

فالسبيل إلى النهضة والارتقاء بالأمة عند المدرسة الأولى بتحصيل العلم وامتلاك المعرفة، ومعياره استغناء الأمة عن غيرها في الطب والصناعة والهندسة... وسائر العلوم والمعارف.

والسبيل إلى النهضة والارتقاء بالأمة عند المدرسة الثانية باستيراد الأنموذج الغربي ليكون بديلا عن الأنموذج الإسلامي في بلاد الإسلام، ومعياره ارتكاس الأمة في التبعية والتقليد، ولا تعجب حين تعرف أن

(١) عن هاتين المدرستين، ينظر:

- لماذا أخفقت النهضة العربية، محمد وقيدى وأحميدة النيفر، ص (١٤).
- اتجاهات النهضة والتغيير في العالم الإسلامي، دكتور عباس حسني، ص (٥٣).

الفرق بين المجتمع المتحضر وغيره في معيار هؤلاء في تبرج المرأة وسفورها .
واختلاط الرجال بالنساء ، والحرية المطلقة للفتاة... إلى رذائل أخرى .

والفرق بين المدرستين كالفرق بين السماء والأرض ، والأسود
والأبيض ، والماء العذب الزلال والماء المتكدر الآسن .

إن مشكلة مدرسة التبعية والتقليد أنها لم تأخذ من الحضارة الغربية
إلا ما هو مخالف للإسلام وأحكامه في الغالب ، وجعلتها معيارا للتقدم
والتمدن والتحضر .

وثمة مشكلة أخرى حيث ظنوا إن الأمة ومجتمعاتها الإسلامية لن
تتقدم إلا بالتخلي عن الإسلام وأحكامه . فلن تتقدم المجتمعات الإسلامية
من وجهة نظرهم إلا بسفور النساء وتبرجهن ، ولن تتمدن إلا بشيوع
الاختلاط المشين في أماكن العمل والتعليم ، وهكذا جعلوا كل رذيلة غربية
معيارا للتقدم والتمدن .

"وإذا دعاهم داع إلى الاستمسك بقرآنهم ، وعقيدتهم ، ومقوماتهم .
ومشخصاتهم ، وباللسان العربي وآدابه... قامت قيامتهم.. وصاحوا:
لتسقط الرجعية.. وقالوا: كيف تريدون الرقي وأنتم متمسكون بأوضاع
بالية ، باقية من القرون الوسطى ، ونحن في عصر جديد؟!!"

ولم يعلم هؤلاء أن جميع هؤلاء الخلائق تعلموا ، وتقدموا ،
وترقوا ، وعلوا ، وطاروا في السماء ، والمسيحي منهم باق على إنجيله
وتقاليد الكنسية ، واليهودي باق على توراته وتلموده ، والياباني باق على
وثنه وأرزه المقدس ، وكل حزب منهم فرح بما لديه .

وهذا المسلم المسكين يستحيل أن يترقى إلا إذا رمى بقرآنه وعقيدته ،

ومآخذه ومتاركه، ومنازعه ومشاربه، ولباسه وفراشه... وانفصل من كل تاريخه، فإن لم يفعل ذلك فلا حظ له من الرقي!"^(١).

"حين سافر الطالب الياباني إلى الغرب في أواخر القرن الماضي، كان يذهب ليتعلم التقنية، مع الحفاظ المتشدد على أخلاقه، كما سيذهب بعده التلميذ الصيني ليتعلم في مختبرات باريس، وليعودوا لبلادهم بالمعلومات النووية التي تدهش العالم اليوم، بينما غالب ما يحدث للطالب، الذي يذهب من بلادنا، أن يعود بشهادة ولكن بعد أن يترك روحه في مقاهي أو خمارات الحي اللاتيني أو النوادي الموجودة هناك..."^(٢).

لقد كان من آثار الهزيمة النفسية التي أصيب بها المسلمون على يد المستعربين أنهم لم يكتفوا بالبحث عن العلوم النافعة التي لا توجد في بلاد الإسلام عند الغرب، وإنما وصل الأمر إلى البحث عن علمي الآداب والتربية بفروعهما المختلفة، والأدهى والأمر أن يطلب علم الشريعة بفروعه في جامعات الغرب ومعاهده!! نعوذ بالله من الخذلان.

"لقد مرَّ على المسيحيين في أوروبا حين من الدهر كانوا فيه يشدون الرحال إلى الأندلس ليتعلموا من علماء المسلمين، أما الآن فقد انقلب الحال رأساً على عقب حيث أصبح المسلمون - وأسفاه - يرجعون إلى أهل الغرب أمريكا وأوروبا يسألونهم: ما هو الإسلام؟ وما تاريخه؟ وما حضارته؟ ليس هذا فقط بل أصبحوا يتعلمون اللغة العربية منهم"^(٣).

(١) لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم، شكيب أرسلان، ص (١٠١ - ١٠٢).

(٢) بين التيه والرشاد، مالك بن نبي، ص (١٠٧).

(٣) الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة، المودودي، ص (٢٧١).

"إن الفراغ الهائل الأكبر في العالم الإسلامي هو بحاجة إلى ذلك العبقري العصامي الذي يواجه الحضارة الغربية بشجاعة وإيمان وذكاء، ويشق لها طريقا بين مناهجها ومذاهبها، وبين فضائلها ورذائلها، طريقا يترفع فيها عن التقليد والمحاكاة وعن التطرف والمغالاة، غير خاضع فيها للأشكال والمظاهر، والمفاهيم السطحية، متمسكا بالحقائق وأسباب القوة، وباللباب دون القشور.

العبقري العصامي الذي يشق له ولبلاده وأمتة طريقا مبتكرا، يجمع فيها بين الإيمان والدين وبين العلم الذي ليس ملك أمة ولا بلد ولا عصر. العبقري العصامي الذي يعامل الحضارة الغربية بعلومها ونظرياتها واكتشافاتها وطاقتها كمواد خام يصوغ منها حضارة قوية مؤسسة على الإيمان والأخلاق، ولا يعامل الحضارة الغربية كشيء تم تكوينه وتركيبه وختم عليه فلا يؤخذ إلا برمته ولا يقبل إلا على علاته.

العبقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمتة وبلاده، وما ينفع عمليا، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب لصق به في القرون المظلمة وفي عصر الثورة على الدين.

هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقودا في صفوف القادة والزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم، وهذا هو العملاق حقا الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون صغارا متواضعين كالأقزام.

إنما أعظم تجربة وأبعدها أثرا، ليس في محيط شعب أو بلد، وليس في محيط العالم الإسلامي فحسب، بل في محيط العالم، وفي محيط الإنسانية

كلها، وإن التاريخ شاخص ببصره إلى من يقوم بها في الأقطار الإسلامية والعربية، ممسك قلمه ليسطر له سطور الثناء والإجلال، ويقلده الزعامة الحقيقية، ومركز التجديد في العالم الإسلامي، والعبقرية والعصامية في التاريخ الإنساني^(١).

وعلى هذا فيتضح المقصود من هذه الرسالة، فالبعثات العلمية التي تكون وفق حاجة المجتمع والأمة، لتحصيل العلوم النافعة التي يتعذر تحصيلها في بلاد الإسلام مع إعداد المبتعثين وتأهيلهم ليست محل نقد أو رد.

والبعثات التي تكون مقصودة لذاتها من غير مراعاة لحاجة الأمة والمجتمع مع تفريط في أخذ أسباب حماية النشء من تبعاتها فهي محل نقد ومراجعة.

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، أبو الحسن الندوي، ص (٢١٦ - ٢١٨).



بدايات الابتعاث في بلاد الإسلام وأصل فكرته

بدأ الابتعاث في بلاد الإسلام من مصر، حيث توجه هذا البلد لابتعاث أبنائه إلى أوروبا منذ القرن الثالث عشر الهجري - التاسع عشر الميلادي.

ففي أواخر الخلافة العثمانية قام (محمد علي) حاكم مصر في حينه بتنظيم أول بعثة إلى إيطاليا سنة (١٨١٣م)، ثم تلتها البعثة الثانية إلى فرنسا سنة (١٨١٨م)، تبعها البعثة الثالثة إلى فرنسا سنة (١٨٢٦م)، وكان عدد هذه البعثة الأخيرة أول ما أرسلت اثنين وأربعين تلميذا، ثم لحق بهم غيرهم، ومن ضمن أعضاء هذه البعثة (رفاعة رافع الطهطاوي)^{(١)(٢)}.

(١) البعثات العلمية في عهد محمد علي، عمر طوسون، ص (١٠) وما بعدها.

(٢) ينظر: ص (٥٤).

وبعد مائة سنة تبعت بلاد العالم الإسلامي مصر في ابتعاث أبنائها للدراسة في أوروبا.

ففي الشام أعلنت وزارة المعارف سنة (١٩٣٧م) عن عزمها ابتعاث طالبين اثنين للدراسة في فرنسا^(١).

وفي الحجاز قامت الأسر الغنية بابتعاث أبنائها للدراسة في المدارس الأجنبية في مصر والشام فكتب الشيخ (حسن المشاط) (١٣١٩هـ - ١٣٩٩هـ = ١٩٠١م - ١٩٧٩م) كتاباً سماه: (حكم الشريعة المحمدية في تعليم المسلمين أولادهم في المدارس الأجنبية).

وبعد ذلك تمت الموافقة في السعودية على نظام الابتعاث سنة (١٣٤٦هـ - ١٩٢٧م) وتنفيذاً لذلك قامت مديرية المعارف بإيفاد ثلاث بعثات متتالية إلى مصر، الأولى منها: سنة (١٣٤٦هـ)، والثانية: (١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م)، والثالثة منها: سنة (١٣٦١هـ - ١٩٤٢م) تلا ذلك ابتعاث الطلبة إلى الدول الأوربية والأمريكية^(٢).

وفي الكويت سافر العديد من الطلاب بين سنتي (١٣٣٩ - ١٣٤٣هـ/١٩٢٠ - ١٩٢٤م) على نفقة ذويهم إلى الهند ثم توالى

(١) ذكريات علي الطنطاوي، (٨٣/٤).

(٢) ينظر :

- التعليم الحكومي المنظم في عهد الملك عبدالعزيز نشأته وتطوره، عبداللطيف بن دهيش، ص (١٠٦).

- موسوعة تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية في مائة عام، وزارة المعارف، (ص ٢٠٩).

- من وحي البعثات السعودية، صالح جمال، ص (٧).

البعثات إلى بغداد والقاهرة وبيروت، وفي سنة (١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م) جرى ابتعاث أول طالب كويتي إلى بريطانيا^(١).

وفي البحرين كانت أول بعثة رسمية - ستة طلاب - سنة (١٩٢٨م) للدراسة في الجامعة الأمريكية في بيروت، تلتها البعثة الثانية سنة (١٩٤٥م)^(٢).

والذي يتابع بداية ابتعاث الطلاب في بلاد الإسلام يخرج بتصور عام لتلك البدايات أجمله في الآتي :

- شمل الابتعاث فنون العلوم المختلفة، وكان أكثر تركيزاً على العلوم النظرية كالآداب والتربية وغيرهما.
- شمل الابتعاث في بعض بلاد العالم الإسلامي البنين والبنات، وإن كان في بدايته مقصوراً على البنين.
- بدأ الابتعاث في مصر والشام إلى أوروبا، وبدأ الابتعاث في دول الخليج إلى الشام ومصر، خاصة الجامعة الأمريكية في بيروت، وكلية فيكتوريا في الإسكندرية.
- بدأ الابتعاث للمتخرجين من طلاب الثانوية العامة، ويجري أحياناً ابتعاث من دونهم.

(١) ينظر:

- تاريخ التعليم في الكويت، (٤٩/٢).
- تطور التعليم في الكويت، ص(١٩٩).

(٢) ينظر:

- التعليم في البحرين، ص(٢٢٥).
- البحرين بين عهدي، راشد الزباني، ص(٢٤٢).

وهكذا تشكل الابتعاث في بلاد العالم الإسلامي على هذه الصورة التي لا زالت قائمة حتى وقتنا هذا.

أما أصل فكرة البعثات العلمية "فلم تكن نابعة من عقل هذا الجندي المجهول الجاهل (محمد علي)، بل كانت نابعة من عقول تخطط وتدبر لأهداف بعيدة المدى، استغلت ما في نفسه من المطامع وحبه للسيطرة، أحاطت به القناصل وهي تراقب أهواءه ومطامعه، فجعلت تغذيها وتزيدها توهجا، لتجعله قوة في قلب دار الإسلام، تنازع دار الخلافة في تركيا سلطاتها، وتنشق عنها انشقاقا يزيد في تفكك دار الإسلام، ويسرع في انهيار دار الخلافة، وفي تمزيقها وضعفها وارتحاء قبضتها على أطراف دار الإسلام، ويمهد للمسيحية الشمالية السبيل إلى تخطف أقاليم دار الإسلام بعد أن تصير أشلاء ممزقة عاجزة عن الدفاع عن نفسها، على أن تكون هذه القوة الجديدة، قوة (محمد علي) في قبضة المسيحية الشمالية، تصرفها كيف تشاء، وتقضي عليها قضاء مدمرا يوم تحتاج إلى تدمير، هذه كانت غاية القناصل الذين أحاطوا (بمحمد علي) إحاطة كاملة، وصاروا عقله الذي يفكر به، وصار هو دمية في أيديهم يحركونها إلى غاياتهم ومقاصدهم.

ولما رأى (المسيو جومار) أحد المشاركين في الحملة الفرنسية نجاح القناصل في إغراء (محمد علي) بإرسال البعثات إلى أوروبا، أسرع يحث الاستشراق الفرنسي وقناصله في مصر، على إغراء (محمد علي) بإرسال بعثات كبيرة إلى فرنسا، ليجعلها تحت إشرافه، ولينفذ مشروع (نابليون) الذي بينه لخليفته (كلير) في رسالته، ويقوم هذا المشروع أن يجتهد (كلير) في جمع خمسمائة أو ستمائة من المماليك، فإن لم يجد العدد كافيا، فليستعص عنهم برهائن من العرب ومشايخ البلدان ويسفرهم إلى فرنسا،

فإذا ما وصلوا حجزوا مدة سنة أو سنتين، يشاهدون في أثنائها عظمة فرنسا، ويعتادون لغتها وتقاليدها، فإذا عادوا إلى مصر، كان لفرنسا منهم حزب يُضم إليهم غيرهم.

وإذا كان مشروع (نابليون) يراد به تكوين حزب للفرنسيين في مصر، معتمدا على الولاة والممالك ومشايخ البلدان الذين يتولون حكم البلاد في زمانه، فإن (جومار) قد طوّر هذا المشروع تطورا كبيرا، بعد خمس وعشرين سنة من رحيل الفرنسيين عن مصر سنة (١٨٠١م)، وكون حزبا لفرنسا في مصر أخطر من حزب (نابليون).

لقد سنحت الفرصة (لجومار) أعظم فرصة باستجابة (محمد علي) لإرسال بعثات إلى أوربة، فبنى مشروعه، لا على كبار السن من الممالك ومشايخ البلدان، بل على شباب غرض يقون في فرنسا سنوات تطول أو تقصر، يكون أشد استجابة على اعتياد لغة فرنسا وتقاليدها، فإذا عادوا إلى مصر كانوا حزبا لفرنسا، وعلى مر الأيام يكبرون ويتولون المناصب صغیرها وكبيرها، ويكون أثرهم أشد تأثيرا في بناء جماهير كثيرة تبث الأفكار التي يتلقونها في صميم شعب دار الإسلام مصر^(١).

ولا يمنع هذا التفسير لنشوء البعثات العلمية ما رآه أحد الباحثين من أنها جاءت حيلة فرنسية لكسر النفوذ البريطاني المتنامي في مصر، حيث إن تلك المرحلة من حياة الغرب قائمة على اصطناع الثقافة، وكانت فرنسا تحس بأن بريطانيا قد كسرت نفوذها الواسع في مصر منذ عصر (محمد علي) بعد الاحتلال وأنها غيرت وبدلت وأعلت من شأن الثقافة الإنجليزية

(١) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، محمود شاكر، ص (١٣٩ - ١٤١).

واللغة الإنجليزية، وكان هناك صراع عنيف بين الثقافتين واللغتين: الفرنسية والانجليزية، ولذلك فإن القدرة على احتضان مجموعة من المثقفين المصريين كانت أمراً بالغ الأهمية في نظر السياسة الفرنسية^(١).

ومما يدل على انحراف الابتعاث وارتباطه بغايات هدامة، أن معظم الابتعاث، إنما كان في العلوم النظرية والآداب واللغات وما إلى ذلك، ولم يكن هناك عدد كاف من المبتعثين لدراسة العلوم التجريبية^(٢).

وأشار إلى هذا الملاحظ الدكتور محمد حسين حيث قال: "وأصبح أكثرها - يعني البعثات - يوجّه توجيهاً أدبياً أو فلسفياً تربوياً بعد أن صارت المجالات الصناعية والخبرات الفنية وفقاً على المستعمرين الأوروبيين الذين حولوا المستعمرات وأهلها إلى مزارع ومناجم وعمال لإنتاج المواد الأولية"^(٣).

ولا يزال التركيز على العلوم النظرية إلى وقتنا هذا حيث لا تزال البعثات في: المحاسبة، التمويل، التسويق، القانون، ومن أعجبها: اللغة العربية، والشريعة الإسلامية والفنون التشكيلية!!!

وهكذا ترى أيها القارئ أن فكرة البعثات العلمية إنما خرجت من رحم المحتل وبتخطيط مكر منه، قصد منها أن يصنع نشء الإسلام تحت عينيه ويربيهم في كنفه، فيكونون أدوات لتنفيذ أهدافه، وعبداً تحت أقدامه، وخنجراً مسموماً في ظهر أمة الإسلام.

(١) طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، أنور الجندي، ص (٢٩).

(٢) الابتعاث ومخاطره، محمد الصباغ، ص (١٩).

(٣) الإسلام والحضارة الغربية، ص (٥٦).

الفصل الثاني

آثار الابتعاث

أعرض في هذا الفصل آثار الابتعاث مدعماً ذلك بواقع المبتعثين، وشهادات المختصين، وما يقال: بأن هناك من المبتعثين والمبتعثات من هو متمسك بدينه محافظ على أخلاقه، فالكلام هنا على القاعدة العامة والظاهرة الكلية، على أن أصل المسألة هو: حكم الإقامة في بلاد الكفار من غير ضرورة مع عدم أمن الفتنة، وهو متحقق في بعض صور الابتعاث، كما سيأتي بيانه قريباً.

وهذه الآثار هي:

- أولاً: الآثار العقدية.
- ثانياً: الآثار الأخلاقية.
- ثالثاً: الآثار السياسية.
- رابعاً: الآثار الاجتماعية.
- خامساً: الآثار الأمنية.

وإليك أيها القارئ تفصيل الكلام على هذه الآثار... فأقول:

أولاً: الآثار العقيدية

ينتج عن الابتعاث آثار تمس عقيدة المبتعث وأصولها، منها:

١ - إضعاف جانب الولاء والبراء:

قضى الله عز وجل بموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين، فقال سبحانه:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ١٧١].

وقال تعالى: ﴿لَا تَحِدْ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ

حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ

أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ [الآية المجادلة: ١٢٢].

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ

أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

وأمر الله سبحانه بالهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام، فقال

سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْغَالِبِينَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ

فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا قَالُوا لَيْتَ كُنَّا مُؤْمِنِينَ وَكَانَتْ

مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧].

قال ابن كثير: "هذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهرائنا

المشركين، وهو قادر على الهجرة وليس متمكناً من إقامة الدين، فهو ظالم

لنفسه مرتكب حراماً بالإجماع" (١).

(١) تفسير القرآن العظيم، (١/٤٢١).

والإقامة بين ظهرائي الكفار من غير ضرورة شرعية مع التعرض للفتنة وللمحنة داخل في هذا الوعيد.

قال القرطبي عند قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ الكهف: ١٠: "هذه الآية صريحة في الفرار بالدين وهجرة الأهل والبنين والقربات والأصدقاء والأوطان والأموال خوف الفتنة وما يلقاه الإنسان من المحنة"^(١).

وقد جاء في السنة الوعيد الشديد في حق من فعل ذلك أيضاً، فقال صلى الله عليه وسلم: لمن جامع المشرك وسكن معه فهو مثله^(٢).

وقال صلى الله عليه وسلم: أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين^(٣).

قال الإمام عبد العزيز بن باز: "لأن في وجوده معهم تكثيراً لسوادهم؛ فلا ينبغي أن يكون معهم... ولا يستثنى من هذا إلا ما جاء الدليل بجواز وجوده بينهم؛ كالداعي إلى الله عز وجل، والمضطر، وما أشبه ذلك"^(٤).

وقال صلى الله عليه وسلم: لا يقبل الله من مشرك عملاً بعدما أسلم أو يفارق المشركين^(٥).

وعن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه أنه قال: بايعني واشترط

(١) جامع أحكام القرآن، (١٣/٢١٦).

(٢) رواه أبو داود، (٢٧٨٧).

(٣) رواه أبو داود، (٢٦٤٥) والترمذي، (١٦٠٥)، والنسائي، (٤٧٨٠).

(٤) الفوائد العلمية من الدروس البازية، (٣/٢٠/١٩).

(٥) رواه أحمد، (٢٠٠٣٧)، وابن ماجه، (٢٣٤).

علي فأنت أعلم، قال صلى الله عليه وسلم: [أن تعبد الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتناصح المسلمين وتفارق المشركين]^(١).

فهذه النصوص صريحة في وجوب مفارقة المشركين "لأنه إذا كان بينهم، ولو لم يكن مشركاً؛ فهو في ظاهره منهم، ولهذا لما قال الله للملائكة: ﴿أَسْجُدُوا لِلْآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ البقرة: ٣٤ توجه الخطاب له ولهم"^(٢).

وذهاب المسلم إلى بلاد الكفار لتحصيل علوم موجودة في بلده مع المحاذير الشرعية الظاهرة في سفره داخل في هذا الوعيد.

قال الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: "لا يجوز للمسلم السفر إلى بلاد المشركين أو الإقامة بين ظهرائهم من غير ضرورة إلا لعارف بدينه بأدلتة الشرعية يستطيع الدعوة إليه والذب عن الشبه التي ترد عليه ويقوم بأداء الواجبات الشرعية"^(٣).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: "من بنى ببلاد الأعاجم فصنع نيروزهم ومهرجانهم، وتشبه بهم حتى يموت حُشر معهم يوم القيامة"^(٤).

قال شيخ الإسلام: "وهذا يقتضي أنه جعله كافراً بمشاركتهم في

(١) رواه أحمد (١٩١٥٣)، والنسائي، (٤١٨٨).

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد، لابن عثيمين، (١٧٥/١).

(٣) مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، (١٩٨/٤).

(٤) رواه البيهقي، (٢٣٤/٩).

مجموع هذه الأمور، أو جعل ذلك من الكبائر الموجبة للنار...^(١).
وهكذا تتصافر الآثار من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم بما لا يدع مجالاً للتردد على تحريم إقامة المسلم بين غير المسلمين، إلا من سدت بوجوههم المنافذ فلا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً.
وقد يقول قائل : كان ذلك الفصل بين المسلمين وغيرهم في صدر الإسلام من الضرورات الحاسمة إذ كانت الأمة حديثة العهد بالخروج من متاهات الجاهلية، فلا مندوحة للقيادة من تأمينها ضد كل ما هو مباين لروح الإسلام ومن ذلك التوكيد على امتيازها، والتحذير من التفريط بهذا الامتياز الرباني.. ولكن استمرار الاعتزال بعد رسوخ المعاني الإسلامية مناف لطبائع الأشياء، إذ يستحيل على الفرد، فكيف بالأمة، الانفصال الدائم عن الجماعات للإنسانية الأخرى.. فلم يبق إلا أن يكون هناك لهذا الفصل صفة التوقيت على قدر الحاجة. والحق أن الأمر باجتنب معايشة المشركين من العزائم التي لا رخصة فيها... كما يتضح من القرآن والسنة. وذلك لتعلق الموضوع بقضية الكيان الإسلامي ذاته، ذلك الكيان المنفرد بخصائصه وحضارته ومسئوليته نحو الحياة والإنسان.

فالمجتمع الإسلامي هو الذي وقع عليه الاختيار الأعلى ليكون شهيداً لله على عباده، ومن هنا تتحدد صلة المسلم بالناس على أنها صلة تبليغ وشهادة وتصحيح فلا بد له والحالة هذه من التحفظ في معاملتهم،

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، (١/٥١٥).

كما يجب على القاضي العادل ، الذي يعلم أنه إنما يُعرّض كرامة القضاء للهوان ، ويطمع بحيفه كل ذي زيغ ، إذا هو أطلقَ لنفسه العنان ، فلم يكفها عن مقاربتهم ، ولم يكفهم عن مخالطته...^(١).

لقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مسلم خطر الإقامة بين أظهر المشركين ، أيام لم يكن للإقامة سوى صورة واحدة في مخالطتهم خشية أن تسري عدواهم إلى أخلاق المسلمين... أما الآن فقد تعددت صور الإقامة حتى تجاوزت الإحصاء... منها: الهجرات الدراسية إلى ربوع الكافرين دار إقامة للطالب المسلم... فهذه الصورة وأمثالها مما عُهد وما لم يعهد بعد ، صور للإقامة المنطوية تحت تحذير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمشمولة ببراءته صلوات الله عليه وسلامه من أصحابها... ما دامت مفتوحة النوافذ لتسرب الأوبئة ، التي توشك أن تأتي على البقية الباقية من الحوافظ العاصمة للذات المسلمة^(٢).

وهذا الحكم الشرعي أعني حكم الإقامة في بلاد الكفار من غير ضرورة المبني على أدلة من الكتاب والسنة ، يجب أن يكون المرجع في مسألة الابتعاث ، فنقول بمقتضاه ، ونرفع الصوت بذلك ، ولا نخشى أحداً خاصة في هذا الزمن الذي يشهد حملة لتغيير العقائد ومحو رسومها.

(١) مقال بعنوان: "كيف يستعيد المجتمع الإسلامي مركزه العالمي" ، الحلقة الأولى للشيخ محمد المجذوب ، مجلة التوعية الإسلامية ، إدارة البحوث العلمية والإفتاء ، العدد (٤) ، التاريخ (١٣٩٩هـ) ، السنة (٤).

(٢) المصدر السابق (الحلقة الثانية) ، العدد (٥) ، التاريخ (١٣٩٩هـ) ، السنة (٤).

٢- الدخول في النصرانية:

مما لا ريب فيه أن ذهاب الطلاب إلى أوروبا وأمريكا يكسبهم شيئاً من أساليب الحياة الغربية ومن الاتجاه الغربي في التفكير والعلم والسلوك، ولكن المنصرين يريدون أن يفيدوا من دراسة الطلاب الشرقيين في الخارج أمراً آخر، إنهم يريدون أن يجعلوا من هؤلاء الطلاب (نصارى) بالفعل أو ممالئين للنصرانية^(١).

وقد ذكر الشيخ المحدث (أحمد بن محمد شاكر) أن كثيراً من المبتعثات ممن سافرن إلى بلاد الكفر والإلحاد في زمانه ارتددن عن دينهن وتزوجن برجال من أمريكا أو أوروبا من اليهود والنصارى^(٢).

وقالت (مريم جميلة) - وهي أمريكية يهودية الديانة أسلمت وكانت تدعى: مرجريت ماركس -: "لقيت طالباً سعودياً يعمل للحصول على درجة الماجستير في مجال التعلم من جامعة كولومبيا، وقد سبق أن حصل على شهادة بكالوريوس من الجامعة الأمريكية في بيروت، أخبرني هذا الأخ أن على جميع الطلبة المسلمين، عليهم أن يحضروا الطقوس المسيحية التي تؤدي في كنيسة الجامعة، والذين يرفضون الذهاب إليها عليهم أن يختاروا البديل، وهو دراسة مادة (أخلاقيات المسيحية)"^(٣).

كما ذكر الدكتور (علي النملة) - وهو وزير العمل سابقاً -: "ما يتعرض له المبتعثون من حملات تنصيرية قوية، وأن هناك وقائع وقف

(١) التبشير والاستعمار، ص (٨٨).

(٢) التعليق على مسند الإمام أحمد، (٦/٢٨٢).

(٣) المراسلة بين أبي الأعلى المودودي ومريم جميلة، ص (٤٧).

عليها تثبت ذلك" (١).

وذكرت بعض الصحف الإلكترونية أن "ثلاثين من المبتعثين من هذه البلاد ارتدوا عن الإسلام ودخلوا في النصرانية، وهذا العدد من تم تعميدهم رسمياً في الكنيسة، أما من لم يتم تعميدهم في الكنيسة فهذا أكثر بكثير من الثلاثين" (٢).

وأكد (تركي الظفيري) - مذيع في قناة المجد وهو أحد المبتعثين لبريطانيا - في مقابلة معه عبر برنامج (يوم جديد) على قناة المجد: تنصّر أربعة مبتعثين العام الماضي، كما أضاف أنه قابل مبتعثاً وقال له: إن لم تقنعني بديني سأذهب وأنتصر!!

وذكر الدكتور (محمد العريفي) قصة شاب ابتعث للدراسة في مرحلة البكالوريوس وقع في الخمر والمخدرات نتيجة الفراغ الروحي ثم تنصر مع أربعة أو خمسة من زملائه وأصبح يتردد على الكنيسة كل أحد لسبع سنوات ثم ترك النصرانية واعتقد عقيدة عبدة الشيطان بعد رجوعه لبلده إلى أن تاب من ذلك كله (٣).

وحدثني أحد المبتعثين إلى أمريكا أنه دخل في نقاش مع بعض زملائه حول وجود الله جلّ وعلا.

كما شاع الخبر عن تردد عدد من المبتعثين على الكنائس والجمعيات

(١) التنصير، ص (٨١) مجالات التأثير والتأثير، ص (٦٩ - ٧٠).

(٢) خبر في الصحف الإلكترونية بعنوان: (اعتناق أكثر من ٣٠ طالب سعودي مبتعث للدراسة بأمريكا النصرانية).

(٣) محاضرة للدكتور العريفي على اليوتيوب بعنوان: (قصة سعودي مبتعث).

التنصيرية، يضاف إلى ذلك تردد المنصرين على سكن المبتعثين، والتعرض لهم في الطرقات والأماكن العامة.

وكتب الدكتور فهد السنيدي مقالا بعنوان: (عبدالله... وليم... حرام يا بلدي) روي فيه قصة (عبدالله) الذي غيّر ديانتته إلى النصرانية واسمه إلى (وليم).

وكتب أحد أولياء أمور المبتعثين مقالاً أكد فيه أن بعض المبتعثين يتلقى مساعدات مادية ومعنوية من الكنائس!!^(١).

قال الأستاذ محمود شاكر: "ومن تمام الجهل أن يظن المرء أن معنى التبشير، هو اقتصار فئة من الرهبان أو القسوس بالدعوة إلى دينهم، من حيث هو عقيدة يسمعونها المرء فيرضاه أو ينكرها، فهذا أمر باطل أشد البطلان، لا من حيث الواقع فحسب، بل من حيث شرح المبشرون أنفسهم معنى التبشير عندهم، وهم الممارسون له، وهم لذلك أدري به، وأشد بطلانا أن يتصور امرؤ أن التبشير بم عزل عن الغزو الحربي، والغزو الاقتصادي، والغزو الفكري والسياسي، وعن محاولة الجنس الأوربي المسيحي أن يخضع الأمم لسيطرة تدوم ما دامت له حضارة، وأشد بطلانا منهما جميعا أن يخطر ببال أحد أن التبشير قد غاب عن كثير من الدعوات التي قام أصحابها ينادون بضروب من الإصلاح في بلاد العرب وفي بلاد الإسلام وفي غيرهما من البلاد، وأنه لم يضع إصبعه ليحول معنى الإصلاح إلى معنى من التدمير والهدم والتحطيم.

(١) صحيفة الجزيرة، العدد (١٣٠٩٦) التاريخ (١٤٢٩/٨/٥هـ)، خبر بعنوان: (مبتعثونا ينظفون الكلاب ويأخذون معونات من الكنائس).

ومن صدق النية، واطلع على كتب المبشرين أنفسهم، عرف أن أكثر الحركات السياسية والاجتماعية قد لوّث بمكره الخفي، وأنه لم يغب عن شيء من الحركات الوطنية أو القومية أو الثقافية أو الأدبية أو ما شئت، بل كان من ورائها عاملا يقظا شديد الخفاء بليغ الأثر، يتزى بكل زي، على اختلاف الأمور، لابسا لكل حالة لبوسها، ومرسلا فيها أعوانه الذين قام على أمرهم دهرًا طويلًا، حتى لا ينكشف أمرهم للغافلين عن دسائسه المدروسة المخططة طويلة الأجل^(١).

٣- التشبع بالمفاهيم الفكرية الباطلة:

إن الحياة في الغرب ليست حضارة مادية فحسب، وإنما هو مجموعة من المفاهيم والثقافات والفلسفات التي تشكّلت عبر تاريخه وانتهت إلى ما نراه اليوم من واقعه الفكري والروحي.

وهناك فكرتان خطيرتان قد تنفذ إلى عقول كثير من المبتعثين دون شعور منهم نتيجة طول الإقامة في المجتمع الغربي، وهما:

المفهوم الأول: المفهوم الكنسي للعلاقة بين الدين والحياة:

قامت الحضارة الغربية على مبدأ فصل الدين عن الحياة، نتيجة تسلط الكنيسة ورجالها في العصور المظلمة من تاريخها؛ ولذا فالدين ليس له علاقة بمناشط الحياة العامة ولا بالاقتصاد والاجتماع والإعلام... إلخ فضلا عن أن يكون حاكما عليها.

ودعم هذه النظرة الكنسية المنحرفة مقالة: (دع ما لله لله، وما

(١) أباطيل وأسمار، ص (١٨٤ - ١٥٨).

لقيصر لقيصر).

وعندما يعيش المبتعث في تلك المجتمعات التي تقوم على هذا المبدأ، فإنه في الحقيقة يتربى عليه عمليا، ويتشبع به، ثم ما يلبث أن يكون مبدأ يدعو إليه ويدافع عنه شعر أم لم يشعر.

ويجد المتابع التأثير بهذا المفهوم ظاهراً في كتابات ومقالات كثير من تلاميذ المدرسة الغربية والمتأثرين بها الذين يرفضون حاكمية الدين، ويعبرون عن ذلك (بالكهنوت الديني) كما هو تعبير النصارى، بل من عمق هذا الأثر على أولئك أن يُنظر إلى الإسلام كما يُنظرُ النصارى إلى النصرانية إبان الثورة عليها، في كونها ضد العلم الصحيح والتطور التقني المفيد للإنسان.

وشواهد هذا كثيرة من أبرزها كتاب سطره أحد تلاميذ المدرسة الغربية قام على رفض هيمنة الإسلام على الحياة بناءً على أن الإسلام رسالة أخلاقية!!^(١).

ويمكن أن يلحظ المتابع التأثير بهذا المفهوم أيضاً في حياة بعض المستغربين الخاصة، وهو ما لا يفهمه البعض أو يعتبره تناقضاً، إذ ترى بعضهم مؤدياً بعض الشعائر الظاهرة كالصلاة والصيام... لكنه يرفض هيمنة الدين في قضايا التعليم والإعلام والاجتماع... بل ربما قضى عمره كله في سبيل رفض هيمنة الإسلام على الحياة...

وهكذا ترى كيف نفذ هذا المفهوم الخطير الذي يناقض الإسلام

(١) السياسة بين الحلال والحرام، تركي الحمد، ص(٢٠ - ٢٢).

بالكلية إلى عقول أولئك من حيث يشعرون أو لا يشعرون.

المفهوم الثاني: رفض الوحي باعتباره مصدرا للمعرفة:

من المعلوم أن الوحي من مصادر المعرفة عند المسلمين، وهو حكمٌ ملزم يجب التصديق بخبره والانقياد لأمره.

في حين أن الوحي ليس من مصادر المعرفة عند الغرب وفي علومهم، إذ الأمر خاضع للحس أو التجربة...

ومن يلحظ كتابات تلاميذ المدرسة الغربية يجد التأثير بهذا المفهوم واضحا، إذ القرآن والسنة - في زعمهم - تراث تاريخي مثقل بالقراءات المختلفة، ولذا لا بد من إعادة قراءة النصوص.

والوحي النبوي مقولات تاريخية سقت في ظروف خاصة ولا يجوز تعميمها.

والاعتماد على نصوص الوحيين في تقرير مسألة ما كلام وعظمي مرسل لا يجد من التعظيم عندهم ما تجده النظريات الغربية.

وستجد هذه المعاني وأخطر منها فيما سمي بنقد النص الديني (القرآن والسنة)، في كتابات كثير من تلاميذ المدرسة الغربية^(١).

(١) ينظر:

- التراث والحداثة، محمد الجابري، ص(٦٠ - ٦١).
- قضايا في نقد العقل الديني، محمد أركون، ص(٢٨ - ٥٩).
- نقد الفكر الديني، صادق جلال العظم، ص(١٢ - ١٦).
- الأسطورة والتراث، سيد القمني، ص(٢٢٠).
- دنيا الدين، عزيز العظمة، ص(١٨ - ٢٣).

وهكذا دخل هذا المفهوم الذي يناقض أصل دين الإسلام على هؤلاء، وأصبح له مدرسته ودعائه والمنافحون عنه.

٤ - التأثير بالمستشرقين وخدمة الاستشراق:

من الأساليب الاستشراقية لتخريج أساتذة يسند إليهم التدريس في الجامعات والمدارس العربية، ابتعاث الطلاب المسلمين للدراسة في الجامعات الأوروبية والأمريكية خاصة في علوم الشريعة والأدب والتربية والتاريخ، فيعودوا لبلادهم وقد حملوا رسالة وفكر المستشرقين، إذ يقوم ذلك المبتعث بمجده في بث أفكار أساتذته والدعوة إليها في بلده، وتعد هذه الوسيلة من أخطر الوسائل والأساليب الاستشراقية في فرض الهيمنة الغربية على بلاد العالم الإسلامي^(١).

ومن المعلوم أن الاستشراق يهدف إلى صرف المسلمين عن دينهم من خلال التشكيك والظعن في القرآن والنبوة والتاريخ الإسلامي.

وهؤلاء المبتعثون عندما يتعلمون على أيدي المستشرقين وتحت توجيههم فلا بد أن يتأثر بعضهم بمناهجهم وطرائقهم، فيرجعوا إلى بلادهم ليبشروا برسالة الاستشراق في أرض الإسلام وينشروها بين طلابهم وتلامذتهم في المعاهد والجامعات.

وقد ظهر الأثر البارز للمستشرقين في جيل المبتعثين الأوائل كطه حسين، وأحمد أمين، وعلي عبد الرزاق، ولطفي السيد وغيرهم من

(١) بتصرف يسير من: الفكر الاستشراقي وأثره في مناهج التعليم الأزهرى، الدكتور محمد السرحاني، ص (٣١).

أساتذة الجامعات المصرية، ظهر جليا في اعتقاد هذه الطائفة للأفكار الغربية والمدافعة عنها والظعن والتجريح في القرآن والنبوة والشرعة...^(١).

"ونُشرت كتب المستشرقين في الشرق الإسلامي مترجمة وحملها تلاميذهم الذين تلقوا على أيديهم السموم في أوربا خلال البعثات العلمية حملوها في عقولهم لينقلوها إلى الشرق الإسلامي على أنها حقائق علمية ضمنوها محاضراتهم وكتبهم وأحاديثهم"^(٢).

وقد أسس هؤلاء المنحرفون للانحراف العقدي والفكري الذي لا يزال قائماً في الأمة إلى يومنا هذا.

وليس عليك أيها القارئ إلا أن تنظر في واقع بعض من درس في الغرب علوم الشريعة والأدب والتربية والتاريخ لترى توافق بعض أطروحاتهم مع أطروحات المستشرقين.

٥ - التشبه بالكفار وتقليدهم:

إن سفر المسلم لا سيما الأحداث وصغار السن ومن لا بصيرة عنده إلى بلاد الكفار والإقامة بينهم يدفعهم إلى تقليدهم ومحاكاتهم والتشبه بهم.

ومن المعلوم أن المشابهة في الزي الظاهر تدعو إلى الموافقة في الهدي الباطن، كما دلّ عليه الشرع والعقل والحس، ولهذا جاءت الشريعة بالمنع

(١) المصدر السابق، ص (٣١).

(٢) مقال بعنوان: "الغزو الفكري للعالم الإسلامي"، للدكتور علي جريشة، مجلة التوعية الإسلامية، إدارة البحوث العلمية والإفتاء، العدد (٦)، السنة (١٣٩٩هـ)، السنة (٦).

من التشبه بالكفار^(١).

وسر ذلك: أن المشابهة في الهدى الظاهر ذريعة إلى الموافقة في القصد والعمل^(٢).

وقد جاء النهي الشديد والوعيد الأكيد في حق المتشبه بالكفار، فقال صلى الله عليه وسلم: لمن تشبه بقوم فهو منهم^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهذا الحديث أقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَبِئْسَ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ لَآ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ المائدة: ٥١"^(٤).

وقال صلى الله عليه وسلم: ليس منا من تشبه بغيرنا، لا تشبهوا باليهود والنصارى^(٥).

قال ابن القيم: "والمقصود الأعظم: ترك الأسباب التي تدعو إلى موافقتهم ومشابھتهم باطنا، والنبي صلى الله عليه وسلم سنّ لأمته ترك التشبه بهم بكل طريق، وقال صلى الله عليه وسلم [خالف هدينا هدي المشركين]. وعلى هذا الأصل أكثر من مائة دليل"^(٦).

وإذا كنا نرى وقوع كثير من النشء في التشبه بالكفار وهم بين أظهر

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، (٧٧/١). الفروسية، ص (١٢١).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، (٧٧/١). إعلام الموقعين، (٣/١٤٠).

(٣) رواه أحمد (٥١١٤). وأبو داود، (٤٠٣١).

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم، (١/٢٣٧).

(٥) رواه الترمذي، (٢٦٩٥).

(٦) أحكام أهل الذمة، (٣/١٢٨٢).

المسلمين ، فكيف سيكون حالهم وهم يقيمون في ديار الكفار .
ولقد تواتر الخبر أن المبتعثين من صغار السن - خصوصا - قلدوا
الغربيين في لباسهم وهيئاتهم ، فخرموا آذانهم وأنوفهم ، ولبسوا الأساور
والقلائد في أعناقهم وأيديهم ، وأصبح بعضهم لا يربطه بدينه وبلاده إلا
الاسم والجنسية .

وفي مقابلة مع (تركي الظفيري) - مذيع في قناة المجد وأحد المبتعثين إلى
بريطانيا - عبر برنامج (يوم جديد) على قناة المجد ، أكد أن وضع المبتعثين
مأساوي حيث لبسوا الأساور والسلاسل حتى من يراهم لا يعتقد أنهم
عرب فضلاً أن يكونوا مسلمين !!

وعلى موقع (اليوتيوب) عرض مرئي لشباب مبتعثين لأستراليا بزيهم
الوطني يحيون حفلاً راقصاً بمناسبة رأس السنة الميلادية ، والحضور من
الجنسين^(١) .

(١) على موقع اليوتيوب بعنوان: (رقص سعوديين في أستراليا بمناسبة رأس السنة
الميلادية).

ثانياً: الآثار الأخلاقية

إن المجتمعات الغربية مجتمعات منحلة أخلاقياً يباح فيها الزنا والشذوذ والتعري وتنتشر فيها المخدرات والخمور.

وعندما يذهب إليها المبتعثون من المراهقين وصغار السن فإنهم عرضة للوقوع في هذه الانحرافات.

وسأسوق لك أيها القارئ نفاً من أخبار ووقائع نشرتها الصحف الإلكترونية حول الانحراف الأخلاقي الذي وقع فيه المبتعثون.

(السجن أربعة وعشرين أسبوعاً لشاب تعري وتحرش ببريطانية).

(مبتعث متهم باغتصاب رجل وسرقة (١٢٠٠) دولاراً ويواجه حكماً بالسجن خمسة وعشرين عاماً).

(مبتعثة سعودية ترتكب حادثاً مرورياً تحت تأثير الخمر... واعتادت هي وزميلاتها تناول الكحول بكثرة والحضور في المراقص).

(مبتعث: نشاهد انحرافات جنسية وشذوذاً أخلاقياً وشباباً سعوديين مخمورين في الطرقات).

(الإفراج عن المتهم السعودي في قضية تحرش جنسي).

(بتهمة اغتصاب طالبة استرالية في ليلة تخرجه... مبتعث سعودي يخضع للمحاكمة).

(مبتعث سعودي يواجه تهماً باغتصاب رجل وسرقته في منهاتن).

(مبتعث مصاب بالإيدز نتيجة ممارسة الفاحشة : عدد من المبتعثين مارسوا الجنس وأصيبوا بهذا المرض).

(مبتعثة : تتعرض لمضايقات وتحرشات لأنها المبتعثة الوحيدة في المدينة وليس معها محرم).

(محكمة بريطانية تبرئ مبتعثا سعوديا من التحرش والاغتصاب).
(المبتعثة السعودية المخمورة تواجه المحاكمة في أمريكا ومصادر تؤكد إدمانها سهرات الرقص).

(ترحيل سعودي من أمريكا ومنعه من دخولها لارتكابه أفعالا جنائية وغير أخلاقية).

(كندا: الطالب السعودي المتهم بالتهجم على يابانية سيقى ثلاثة أشهر أخرى في السجن).

(كندا تلاحق سعودياً هرب من أراضيها بعد اتهامه بالاعتداء على صبي وفتاة).

وإن المتابع يجزم بأن واقع المبتعثين فيه أضعاف ما ينشر في تلك الصحف ، وذلك لسببين :

الأول : إذا كنا نعاني في بلادنا من ارتفاع معدلات جريمة الأحداث وصغار السن على الرغم من كل الإجراءات الوقائية والعقابية والعلاجية التي تقوم بها مؤسسات الدولة والمجتمع كالمسجد والمدرسة... فكيف سيكون حال هؤلاء الأحداث عندما نرمي بهم في مجتمعات إباحية منحلة!!؟

الثاني : يؤكد بعض المبتعثين - ممن قابلتهم - الحال المتردية والوضع

المخزي الذي وصل إليه بعض أبنائنا من تعاطي المخدرات والتناول المفرط للخمور والتردد على الملاهي والمراقص وإقامة العلاقات المحرمة...

وقد قامت إدارة مكافحة المخدرات برفع اقتراح رسمي يتضمن إجراء تحاليل طبية عشوائية للطلاب المبتعثين عند عودتهم، وتشير المصادر أن الهدف من ذلك هو الكشف عن متعاطي المخدرات قبل أن تتفاقم مشاكلهم مع الإدمان، ويأتي هذا الاقتراح بعد تصاعد حدة الظاهرة في أوساط كثير من المبتعثين الذين عادوا لأرض الوطن وهم مدمنون وصعب علاجهم^(١).

وانتقد الدكتور (ميسرة طاهر) المستشار التربوي والأسري أسلوب وزارة التعليم العالي وغيرها من القطاعات الحكومية والأهلية والشركات العامة في ابتعاث شباب للدراسة بعد الثانوية حيث إن منهم مدمنين للمخدرات، وقال: لدي في العيادة شاب عاد من الابتعاث مدمنا للمخدرات، ويقول إن معه سبعة من زملائه المبتعثين أدمنوا المخدرات هناك^(٢).

وأكد الدكتور (أحمد الشبعان) أن أوضاع المبتعثين في مرحلة البكالوريوس - الذي كان متابعاً لهم في بريطانيا حال ابتعاثه - محزنة، فهم يصابون بصدمة حضارية في مجتمع يفتح ملاهيه ومراقصه وإعلامه لكل ما يحرك الشهوة ويغري بها... وعند دعوته لبعض هؤلاء الشباب بأن يأتوا للمسجد يقول أحدهم: لا أريد خداعكم فأنا لي صديقة^(٣).

(١) صحيفة الوثام الإلكترونية، خبر بعنوان: (المخدرات تقترح فحص المبتعثين العائدين إلى الخارج).

(٢) صحيفة الرياض، العدد (١٥٣٦٩)، التاريخ (١١/٨/١٤٣١هـ).

(٣) صحيفة الرياض، العدد (١٣٧٠٣)، التاريخ (٢٨/١١/١٤٢٦هـ - ٣٠/١٢/٢٠٠٥م).

كما نشرت أمانة اللجنة الوطنية لمكافحة المخدرات قصة مبتعث للدراسات العليا وقع في المخدرات بعنوان: "بعد شهادة الهندسة والوظيفة... باع منزله وشتت أسرته!! المخدرات تنهي طموحات مبتعث الدراسات العليا"^(١).

ومما له علاقة بالآثار الأخلاقية وجود عدد من الفتيات للدراسة في الغرب وحدهن من غير محرم، حيث أكد لي عدد من المبتعثين أن كثيراً من المبتعثات يكون والدها معها في أول بعثتها ثم يدعها ويرجع وتبقى وحدها هناك، ومبتعثات أخريات يأتي معها أخوها ذو الستة عشر عاماً أو ما يقاربها فيكون عبئاً على المبتعثة؛ لأنه بحاجة إلى رعاية وتوجيه، فيكون المحرم الشكلي بحاجة إلى محرم حقيقي آخر!!

وتجد المبتعثة - إن كانت منضبطة - حرجاً بالغاً في الحياة في ذلك المجتمع المفتوح.

ويتصل بهذا الأمر ما ظهر بين المبتعثين والمبتعثات من زواج يسمى (بالمسفار) حيث يتزوج الشاب زوجاً مؤقتاً بفترة إقامته للدراسة، وتتزوج الفتاة بشاب من بني جنسها لإكمال الشرط الإجرائي للابتعاث، ويكون هناك اتفاق ولو ضمني على إنهاء الزواج بعد إكمال الدراسة^(٢).

ولذا ليس بمستغرب في تلك الحال أن يفاجأ المبتعث بمبتعثة تعرض عليه الزواج منها تلميحاً أو تصريحاً.

(١) صحيفة الرياض، العدد (١٥٤٦٠)، التاريخ (١٤/١١/١٤٣١هـ).

(٢) ينظر: تحقيق: (المسافر... أحدث صرعات الزواج) منشور في صحيفة شمس، عدد (٤٦١)، وتاريخ (٢٩/٣/١٤٢٨هـ).

ثالثاً: الآثار السياسية

لا ريب أن من آثار الابتعاث النكدة ظهور الحركات الثورية والتنظيمات الإباحية والتغريبية.

١ - ظهور الحركات الثورية:

يشعر بعض المبتعثين باليأس من إصلاح أوضاع بلاده التي ابتعث منها عندما يرى تفوق البلاد الغربية على بلاده في مجالات كثيرة خاصة فيما يخص التنظيم والإدارة والخدمات وما يسمى برعاية حقوق الإنسان، يصاحب ذلك انبهار بالحضارة الغربية وإعجاب بها مما يشكل لدى بعضهم صدمة حضارية.

وفي هذا الجو الملبد بغيوم اليأس والإحباط يبدأ التأثير بالتيارات الثورية والمذاهب التحررية التي ترى في الحكومات الإسلامية حكومات قمعية متسلطة تنهب ثروات الشعب وتتحكم في رقبته... وترى في الشعوب شعوبا مستعبدة مستذلة... إلى آخر تلك الشعارات الجوفاء. وترى في نفسها المخلص والمنقذ.

فتتشكل الأفكار أولاً، ثم المبادئ والقيم ثانياً، ثم الاجتماعات والتنظيمات ثالثاً.

"فمع أول بعثة علمية إلى فرنسا ومع حرص بعض المصلحين من ولاية أمور المسلمين على أن يجري الإصلاح في حدود الخبرات الفنية التي تتصل بالجيش والصناعة والزراعة والاقتصاد والتنظيم الإداري، فإن الأمور قد

تجاوزت الحدود التي أرادوها وقدروها، فلم يكن في تقدير (محمد علي) أن يتعلم مبعوثوه أكثر من الخبرات التي بعثوا لتحصيلها، ولذلك كانوا يوضعون تحت رقابة دقيقة، وحين سألهم بعض المبعوثين أن يسمح لهم بجولة ليتعرفوا على الحياة الفرنسية، رفض في حزم صارم أن يجيبهم إلى ما يطلبون، ولكن ذلك لم يحل دون دخول الأفكار الأوربية الجديدة التي لم يردّها مع المهارات الفنية التي أرادها، فقد كان هؤلاء المبعوثون الذين أرسل أكثرهم إلى فرنسا يقرؤون الكتب الفرنسية، ويشاهدون الحياة الفرنسية في أحفل العصور بالصراع الفكري الذي يصاحب الثورات، وكانت فرنسا تعيش في أعقاب الثورة الفرنسية وما صاحبها وما تلاها من قلق فكري وروحي لم يبلغ نهاية مداه، وقد احتل هؤلاء المبعوثون مكان الصدارة والقيادة في مختلف الميادين وبدءوا يترجمون وينشرون كتباً من غير ما تخصصوا فيه من فنون، وجاءوا معهم بأفكار فولتير وروسو ومونتسكيو - وهم من أشهر المنظرين للثورة الفرنسية والمؤسسين لها - ونشروها في مجتمعاتهم^(١).

فكان من أوائل الدروس التي تعلمها أعضاء الجمعيات القومية العربية من الثورة الفرنسية الثورة نفسها، لقد رأوا أن حياة الأمم ربما اعترتها المفسدات والظلمات في شؤون الحكومة والسياسة والاجتماع والاقتصاد، ورأوا أن الإصلاح ربما أصبح غير ممكن عن طريق الإقناع والتسوية السلمية، فأمنوا بوجوب الثورة في بعض الأحوال، ورأوا بناءً على الانقلاب الفرنسي العظيم، أن الثورة إذا أُجيدت وكانت في موضعها

(١) الإسلام والحضارة الغربية، محمد محمد حسين، ص (١٩) بتصرف يسير.

أتت بخير كثير...^(١).

وإذا أردت أيها القارئ نقلك إلى نشأة الحركات الثورية في العالم العربي وعلاقتها بالبعثات العلمية ، فانظر مثلاً إلى حزب البعث العربي الاشتراكي إذ يرجع تأسيسه إلى (ميشيل عفلق) و(صلاح البيطار) وكلاهما أنهما دراستهما الجامعية في باريس ، الأول : حصل على إجازة في التاريخ ، والثاني : على إجازة في العلوم ، وهناك نما بالفعل تكوينهما الفكري ووعيها السياسي^(٢).

كما أن من المؤسسين لحزب البعث العربي (زكي الأرسوزي) وهو قد درس الفلسفة في باريس^(٣).

وقد ذكر الدكتور (مفيد فوزي) أن من أسباب ظهور التيارات الفكرية في الخليج وجود التعليم الحديث - الابتنات^(٤).

ولذا فجميع الشخصيات الخليجية التي أسست للأحزاب والتنظيمات التحررية سواء أكانت قومية أم بعثية أم شيوعية درست في الغرب إلا ما ندر منها.

وحتى لا يكون الكلام مرسلًا مجرداً عن الشواهد والدلائل أسوق لك أيها القارئ نماذج من ذلك :

(١) الجمعيات القومية العربية، الدكتور خالد الديان، (٢٥٤/١).

(٢) حزب البعث العربي الاشتراكي، ترجمه: يوسف جباعي ومصطفى دندشلي، ص(١٩).

(٣) الأحزاب والحركات القومية، فيصل دراج وجمال باروت، (٢١٢/١).

(٤) التيارات الفكرية في الخليج العربي، الدكتور مفيد الزبيدي، ص (٦٤).

فالبعثية في البحرين قامت على أكتاف طلاب البعثات العلمية، وفي مقدمتهم الدكتور (علي فخرو) الذي درس في أمريكا.

وكذا أيضا تيار القومية العربية نشأ عن طريق الطلبة البحرينيين المبتعثين إلى الجامعة الأمريكية ببيروت.

وينسحب الكلام أيضا على التيار الشيوعي الذي يعتبر المهندس (عبدالرحمن النعيمي) من أبرز قياداته وهو قد درس في الجامعة الأمريكية ببيروت^(١).

وفي الكويت يرى الناظر أن غالب قيادات التجمعات الثورية والتنظيمات التحررية كانت قد خرجت في بعثات علمية.

فالدكتور (أحمد الربيعي) الذي يعد من أبرز قياديين تنظيم (الحركة الثورية الشعبية في عمان والخليج العربي) درس في أمريكا.

والدكتور (أحمد الخطيب) مؤسس تيار القومية في الكويت درس في الجامعة الأمريكية ببيروت^(٢).

وفي السعودية كان أبرز قادة (الجبهة الشعبية الديمقراطية في الجزيرة العربية) البعثية الدكتور (فهد الدغيثر) ويسمى نفسه (أنور ثابت) ممن درس في فرنسا وأقام فيها^(٣).

(١) المدارس الأجنبية في الخليج، المؤلف، ص (٨٦).

(٢) ينظر : التوجهات الماركسية الكويتية، الدكتور فلاح المديرس، ص (٤٧). التجمعات والتنظيمات اليسارية، الدكتور فلاح المديرس، ص (٣٠). الجماعات السياسية الكويتية، صلاح الغزالي، ص (٤٤٠) (١٥).

(٣) حركة القوميين العرب، محمد جمال باروت، ص (٤٨١ - ٤٨٨).

وتشكلت النواة الأولى لحزب العمل الاشتراكي العربي في الجزيرة العربية من الطلبة الجامعيين السعوديين الدارسين في الجامعات الأمريكية الذين تأثروا بالأنطولوجيات الماركسية اللينينية^(١).

وذكر الدكتور (نجم عبد الكريم) أن عدداً من السعوديين من المبتعثين الأوائل إلى أمريكا كانت لهم مواقف معارضة لبلادهم^(٢).

وفي اليمن قامت الثورة الثانية التي قامت عام (١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م) ضد الحكم الملكي على يد الأمير عبد الله بن الإمام يحيى - حاكم اليمن - الذي تجوّل في الخارج في عهد والده وفي عهد أخيه الإمام أحمد وطاف بالكثير من بلدان العالم، ثم عاد قبيل هذه الثورة الثانية من جولته الأخيرة مقتنعاً بضرورة حدوث تغيير وإصلاح في البلاد^(٣).

وتشكلت الأحزاب السياسية المناهضة للحكم الملكي في اليمن من اليمنيين المقيمين في القاهرة للدراسة^(٤).

وقد أشار عدد من الباحثين الغربيين إلى العلاقة بين الابتعاث والحركات الثورية التي قامت في الخليج العربي.

يقول (ستيفان لاکروا): "في أعقاب الحرب العالمية الثانية عاد بعض الطلاب السعوديين الذين سافروا إلى مصر أو لبنان أو العراق من أجل الدراسة إلى المملكة متأثرين بالأيديولوجيات اليسارية والقومية العربية التي

(١) الأحزاب والحركات اليسارية، فيصل دراج وجمال باروت، (٢/٧٥٨).

(٢) صحيفة الشرق الأوسط، العدد (٩٢٥٨)، التاريخ (١٢/١٢/١٤٢٥هـ).

(٣) تاريخ اليمن السياسي، محمد الحداد، (٢/٢٨٠).

(٤) أنا عائد من جنوب الجزيرة، أحمد السقاف، ص (١٦).

كانت منتشرة في المنطقة بدرجة كبيرة... ونتيجة لذلك ظهرت مجموعات صغيرة متأثرة بطروحات ماركسية ويسارية وناصرية وقومية عربية، وفي الحقيقة كانت المجموعات مقتصرة على النخبة، ولم تشكل مطلقاً حرية شعبية، ولكنها كانت تشكل قلقاً داخلياً، خاصة بعد أن حاول بعض أعضائها القيام بنشاط سياسي خارج إطار الدولة^(١).

ومن المهم القول هنا إن أكثر هذه التنظيمات قد اتخذت العنف والعمل المسلح منهجاً لها، وقامت بمحاولات انقلاب وأعمال تخريب في مجتمعاتها.

وربما يعترض معترض على أن هذا الكلام استدعاء لأحداث تاريخية وقعت وانقضت، ولا أثر لها، وهذا مردود من وجوه:

الوجه الأول: أن الحركات الثورية التحررية لم تكن حدثاً تاريخياً وانقضت، بل لا تزال قائمة إلى وقتنا الحالي، والمعارضة القائمة في (لندن) خير شاهد على هذا، بل لا يكاد يخلو أي كيان سياسي من حركات ثورية تناوئه وتعارضه.

الوجه الثاني: أن الابتعاث أحد المهيئات النفسية والفكرية لقبول المعارضة، ولا يعني أن كل مبتعث سيكون معارضاً، ولذا لو استغلت الحركات الثورية هؤلاء المبتعثين فستجد فيهم صيداً ثميناً ومجانياً!!

الوجه الثالث: إذا كانت ظروف تلك المرحلة فرضت على تلك الحركات أن تكون شيوعية أو قومية أو بعثية، فإن ظروف هذه المرحلة

(١) مقال بعنوان: (الليبراليون السعوديون... طموح النخبة وواقع المجتمع السعودي) منشور في مجلة المجلة ١٨/١٠/١٤٣١هـ.

تفرض قيام حركات ليبرالية، وسيكون أثرها أشد وتأثيرها أكبر بسبب الافتتاح الإعلامي وتطور تقنية الاتصالات.

وأكد هذا ما صرّح به لي عدد من المبتعثين من أن بعض المبتعثين والمبتعثات يتعرض للسعودية ومنهجها بسلبية شديدة، بل إن أحد المبتعثين من إحدى الجامعات السعودية لمرحلة الماجستير للدراسة في فرنسا قدّم عرضاً مرئياً لزملائه الفرنسيين في المعهد الذي يدرس فيه اللغة الفرنسية يتضمن هجوماً على السعودية ورموزها السياسية!!!

وينبغي للقارئ ألا يعجب من ذلك كثيراً فإني سبق أن بينت أن بعض المبتعثين يعقد مقارنة بين مجتمعه الأصلي ومجتمعه الجديد - وإذا لم يكن لديه بصيرة وتمييز - رجحت كفة مجتمعه الجديد فارتد على مجتمعه القديم ذمّاً وقدحاً، وتشويهاً وتنقيصاً.

وستجد أيها القارئ في محيطك القريب عدداً من المبتعثين يصفون مجتمعهم بالتخلف وأهله بالمتخلفين. وتنقص المبتعثين لمجتمعاتهم الأصلية والخط منها ليس جديداً بل قديم قدم الابتعاث، فقد سطر الدكتور (زكي مبارك) كتاباً أسماه: (ذكريات باريس) كله في الإشادة بباريس وأهلها ومدحهم والثناء عليهم وبيان إعجابه الشديد بهم... وذم مصر وأهلها والخط من شأنهم والتحقير لهم^(١).

٢- ظهور الحركات الإباحية والتغريبية:

لقد كان من من آثار البعثات التعليمية ظهور الحركات الإباحية والتغريبية في العالم الإسلامي، حيث إن هؤلاء المبتعثين ممن ليس لديهم

(١) ذكريات باريس، ص (٥ - ٧).

الحصانة الفكرية والمناعة الخلقية، أعجبتهم الحياة الغربية في الجانب الاجتماعي حيث الحرية المطلقة للفتاة، والعري والانحلال، والاختلاط بين الجنسين في أماكن العمل والتعليم، واعتبار الخيانات الزوجية والعلاقات الجنسية خارج إطار الزواج حرية شخصية... فتزيت هذه الصورة في أعينهم واعتبروها قرينة التقدم والتطور، وفي المقابل رأوا في حجاب المرأة المسلمة، والفصل بين الجنسين في أماكن العمل والتعليم، ومنع العلاقات الجنسية غير الشرعية... تخلفاً ورجعية.

يقول (ولفرد كانتول سمث) عن نشأة حركات التمرد الاجتماعي في المجتمعات الإسلامية: "إن من أهم أسباب قيام حركة الحرية والإباحية التي تسود اليوم في العالم الإسلامي ومن أكبر عواملها نفوذ الغرب، فقد بلغت هذا الحركة أوجها في أوروبا من أواخر القرن التاسع إلى الحرب العالمية الأولى، وهكذا شأن أوروبا ونهضتها وتقدمها، وقد سافر كثير من الشباب المسلم إلى الغرب واطلعوا على روح أوروبا وقيمها وأعجبوا بها إلى أبعد حد، وينطبق هذا بخاصة على الطلاب الذين درسوا في جامعات أوروبا بعدد لم يزل يزداد مع الأيام وهو الذين سببوا استيراد كثير من أفكار الغرب وقيمه إلى العالم الإسلامي..."^(١).

ولذا فحركات التغريب والإباحية في العالم الإسلامي قامت على أكتاف العائدين من البعثات العلمية.

ففي مصر كان (رفاعة الطهطاوي) الذي ابتعث إلى باريس وأقام فيها خمس سنين (١٨٢٦ - ١٨٣١م) من طلائع دعاة تغريب المرأة والمطالبين

(١) نحو التربية الإسلامية الحرة، ص (٣٦).

برفع الحجاب عنها، حيث كتب كتابه: (تخليص الإبريز إلى تلخيص باريز)، الذي أشاد فيه بتكشف الفرنسيات وإبدائهن لمفاتهن، وأبدى إعجابه بأماكن الرقص والغناء والموسيقى، واعتبر رقص النساء لونا من اللياقة، وبالجمله فقد أشاد بالانحراف الاجتماعي في فرنسا^(١).

وجاء بعده (قاسم أمين) الذي أقام في فرنسا أربع سنوات (١٨٨١- ١٨٨٥م) في بعثة علمية، وكتب بعدها كتابيه (المرأة الجديدة)، (تحرير المرأة). ودعا فيهما إلى السفور والاختلاط وتقييد الطلاق ومنع تعدد الزوجات...^(٢).

ومن يقرأ هذين الكتابين يجد أن المؤلف أسس رؤيته تلك على واقع الحياة الفرنسية وإعجابه بها.

ومن بعدهما جاء (طه حسين) الذي رحل إلى فرنسا وأقام طالبا في إحدى جامعاتها.

"وكان لهذه الرحلة أثرها العميق في التكوين الثقافي والاجتماعي (لطه حسين) حتى يمكن أن يقال إنها خلقتة خلقا جديدا!!؟ وأسلمته ولاءً جديداً ظل مؤمناً به مدافعاً عنه إلى أن غرغرت الروح.

ولقد أنتجت الرحلة إلى أوروبا آثارا متعددة على شخصية (طه حسين) حملها معه في فكره وثقافته وكتاباته، وهي:

أولا: الاتصال ببيئات المستشرقين وتبني مفاهيمها ومعطياتها، وقد بلغ الدكتور (طه حسين) مبلغا جعل بعض الناس يظن أنه واحد من

(١) تخليص الإبريز من تاريخ باريز، ص (١٣٢ - ١٣٩).

(٢) الأعمال الكاملة، قاسم أمين، ص (٣٨٧ - ٣٩٧) (٤٥٥ - ٤٨٨).

المستشرقين.

ثانيا: الاعجاب بفرنسا والولاء لها، وهو إعجاب وولاء كان يصل به إلى أن يرجح كفتها على حقوق أمتة ويقف مع فرنسا مدافعا بينما تضرب بقنابلها دمشق.

ثالثا: التأثير الشديد بثقافة الثورة الفرنسية ومطامعها.

رابعا: اتساع الخصومة مع الفكر الإسلامي والأزهر، وذلك من طبيعة الأمور حيث لم يدع ميدانا للإسلام فيه رأي إلا قال فيه رأي الاستشراق وأثار شبهاته ودفع الناس دفعا إلى الدخول في بوتقة التغريب، وقد بلغ ذلك أقصى مدى حين دعا إلى الأخذ بالحضارة الأوربية خيرها وشرها، حلوها ومرها، ما يحمد منها وما يعاب.

خامسا: بعث الأدب الشعبي والفكر الباطني والوثني والمجوسي القديم^(١).

وجاء مع (طه حسين) (أحمد لطفي السيد) (١٨٧٢ - ١٩٦٣م) الذي أقام في جنيف عدة سنوات درس في جامعتها الفلسفة والآداب. ويعتبر (طه حسين) و (أحمد لطفي السيد) هما أول من طبق خطة التغريب في العالم الإسلامي، إذ حوّل كتابات (رفاعة وقاسم) إلى مشروع عملي، ورسم خطة للتغريب أخذها المستغربون بعدهم فطبقوها في مجتمعات المسلمين الأخرى.

فقد تولّى طه حسين مسئولية الجامعة المصرية (جامعة القاهرة حاليا) وتولى (أحمد لطفي السيد) وزارة المعارف، فماذا قدم هذان الرجلان؟ لقد

(١) طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، أنور الجندي، ص (٣٠ - ٣١).

صنعا سوءا تعاني منه أمة الإسلام إلى اليوم، وأحدثا تغييرا قلب المفاهيم وزلزل التصورات، ويتلخص عملهما في الآتي :

- السماح بالاختلاط بين الجنسين في المدارس والجامعة.
- فرض مناهج الغرب ومؤلفاته في المدارس والجامعة.
- تغيير مناهج اللغة العربية والتاريخ والأدب العربي.
- محاربة التعليم الديني والتضييق عليه (الأزهر).
- نشر الانحلال والتهتك والخلاعة في المدارس والجامعة^(١).

فإن قلت : وما علاقتنا بهذه الشخصيات البائدة ؟ فأقول : إن أفكار هؤلاء هي قاعدة التغريب في المجتمعات الإسلامية، وهي التي أحدثت التحول الاجتماعي المخيف من الحياة الإسلامية إلى الحياة الغربية في بعض مجتمعات المسلمين اليوم، فلا تزال أفكار (رفاعة الطهطاوي) و(قاسم أمين) و(طه حسين) و(أحمد لطفي) قائمة إلى اليوم، تلقاها تلاميذهم من المستغربين، وأخذوها من كتبهم، ويرددونها في الصحف والندوات، والمؤتمرات والمطارحات.

بل إن بعض المبتعثين في الخليج خاصة في الربع الأخير من القرن المنصرم الذين ذهبوا إلى أوروبا وأمريكا بعد رفاعة وقاسم وطه رجعوا يحملون نفس الأفكار ويتوجهون نحو تلك الأهداف حذو القذة بالقذة.

إن أبناء رفاعة وتلاميذ قاسم لا يزالون يحملون راية التغريب ويرفعون لواء التبعية والتقليد، ويرددون تلك الأفكار البلهاء، والشعارات الجوفاء.

(١) محاكمة فكر طه حسين، أنور الجندي، ص (٢٨١ - ٢٩٠).

ولذا فشؤم البعثات العلمية لا يزال جاثماً على صدر الأمة الإسلامية ينهش في جسدها ويُمثل به.

٣- القناعة بالنظام الغربي في الحكم والإدارة:

قام النظام الغربي في الحكم والإدارة نتيجة عوامل تاريخية ودينية على ما يسمّى بالديمقراطية (التي تعني حكم الشعب أو سيادة الشعب) وتفرّع عن هذا المبدأ مبادئ ومظاهر سياسية أخرى تتمثل في: الانتخابات، تداول السلطة، الأحزاب، المظاهرات، الاعتصامات...

وهذه المبادئ في ظاهرها جذابة ويرفع أصحابها شعارات برّاقة بعضها يستحيل تطبيقه في الواقع والآخر يصعب...

وهذه المبادئ والشعارات تتعارض مع أنظمة الحكم في دول الخليج العربي خاصة، والمبتعثون عندما يعيشون في الدول الغربية لا بد وأن يتأثروا بمثل تلك المبادئ والشعارات على تفاوت بينهم قوة وضعفاً.

وعند رجوعهم إلى بلادهم سيكون ماثلاً أمام أعينهم تلك المبادئ والشعارات التي يرون فيها خلاص مجتمعاتهم مما فيها من مشكلات وتراجعات... ومن هنا تبدأ المشكلة، حيث يرى هؤلاء الأنموذج الغربي الطريق الأمثل في الحكم والإدارة ثم يرونه بعد ذلك البديل الوحيد والناجح لواقع بلدانهم.

٤- الجانب الاستخباري:

يُعتبر ابتعاث الطلاب والطالبات عبر مراحلها المختلفة مصدراً من مصادر المعلومة الاستخبارية للدول المبتعثين إليها.

حيث يمكن لتلك الدول "تكوين صورة واضحة عن الشباب السعودي

بمراقبة الطلاب عن كثب، وتكوين قاعدة معلوماتية بتصنتها على المكالمات، وسبر التركيبة الاجتماعية والقبلية والبعد الديني للشعب السعودي بتكليف الطلاب أبحاثاً عن المملكة تتناول هذه القضايا، والوصول لمصادر المعلومات داخل المملكة بكل دقة وتفصيل، وتكوين قاعدة معلومات عن الطلاب وحساباتهم أثناء تلبية شروط التأشيرات^(١).

وتأكيداً لهذا فقد ذكر الدكتور (وليد الرشودي) أن أحد المبتعثين كُلف من أستاذه بإعداد بحث حول أحداث الحرم التي وقعت في العام (١٤٠٠هـ)!!^(٢).

(١) مقال للدكتور أحمد محمد الشبعان بعنوان: (ابتعاث المراهقين إلى أمريكا). صحيفة الرياض، العدد (١٣٧٠٣)، التاريخ (١٤٢٦/١١/٢٨هـ - ٢٠٠٥/١٢/٢٠م).

(٢) برنامج (البلد الطيب) على قناة المجد يوم الأحد الموافق (١٤٣٢/٢/١٢هـ).

رابعاً: الآثار الاجتماعية

١ - تغير المفاهيم والقيم الاجتماعية :

من آثار الابتعاث تغير المفاهيم والقيم الاجتماعية ، المتعلقة بالحجاب والاختلاط بين الجنسين والعلاقة بينهما والأسرة...إلخ.

ففي دراسة أعدها أحد المختصين على مجموعة من الطلاب المبتعثين للدراسة في أمريكا ، تبين أنه لطول الفترة التي قضاها الطلاب السعوديون في البيئة الأمريكية علاقة بتغير اتجاهاتهم النفسية والفكرية ، وقد اتضح هذا التغير فيما يتعلق بالوضع التقليدي للمرأة في المجتمع السعودي ، من جهة رفض القيم المتعلقة بالحجاب ورفض الحدود المفروضة على اختلاط الرجل بالمرأة في التعليم والوظيفة.

كما بينت الدراسة أن الطلبة الذين أمضوا أكثر من سنتين عبروا عن عدم موافقتهم على القيم التقليدية التي تحكم العلاقات العائلية في بلادهم ، وهذا يعني أن القيم التي تحكم العلاقات العائلية تميل إلى فقدان أهميتها عند الطلبة مما يفسح المجال لظهور القيم الغربية بدلا عنها.

وفي دراستين أخريين أعدها اثنان من المختصين توصلت إلى نتيجة الدراسة السابقة من أن بقاء الطالب السعودي في أمريكا فترة طويلة من الزمن يجعله أكثر عرضة للتأثر الاجتماعي من قبل المجتمع الأمريكي^(١).

(١) الابتعاث إلى الخارج وقضايا الانتماء ، ص (٣٠ - ٣١).

والحقيقة أن الابتعاث غير المنضبط للديار الغربية انقلاب على قانون الحياة الاجتماعي الإسلامي.

وهذا الأمر يشهد به واقع بعض المبتعثات في الخارج، حيث خلع بعضهن الحجاب، واختلطن بالرجال.

وحفلات تخرج المبتعثين والمبتعثات شاهد على ذلك أيضا، حيث إنها مختلطة بين الجنسين، وأكثر الفتيات سافرات عن وجوههن، كاشفات لشعورهن، يلبسن البنائيل الضيقة، كما تنقل ذلك الصحف المحلية.

بل إن المبتعثة تدرس في جامعات مختلطة بين الجنسين فتجلس المسلمة بين الطلاب الغربيين تحادثهم وتضاحكهم وتقيم وشائج الصداقة معهم.

بل أنقل إليك أيها القارئ ما تداولته الصحف الإلكترونية من خبر جاء فيه: (ثلاث طالبات سعوديات مبتعثات يعتدين بالضرب على زميلتهن لأنها رفضت خلع الحجاب).

وخبر آخر جاء فيه: (خلعت عدة مبتعثات سعوديات النقاب في مدينة نيوكاسل الإنجليزية واستبدلته بالقبعات بعد تكرار حوادث الاعتداء ضدهن من قبل بعض الرافضين للزي الإسلامي).

وفي خبر آخر أيضا: (السجن عامين لاسكتلندي نزع حجاب طالبة سعودية وألقاه أرضا).

بل حذر السفير السعودي في استراليا الطالبات، المنقبات من التنقل بمفردهن لما قد يتعرضن له من مضايقات بسبب حجابهن!!^(١).

(١) خبر بعنوان: (قال بأنه يعرض حياتهن للخطر : السفير السعودي يحذر السعوديات من التنقل بمفردهن).

وقد أشار الدكتور (طاهر ميسرة) (الخبير التربوي والأسري) إلى أن إحدى المبتعثات ممن تراجع عنده في العيادة أصبحت ترى الحرية المطلقة وأن تعيش الحياة الزوجية مثل الغرب عن طريق الصديق^(١).

والخطر في هذا أن هذه المبتعثة ستكون زوجة في المستقبل ومسئولة عن أسرتها، فتؤسس حينئذ لأسرة تبنى على شفا جرف هار ينهار بأفرادها إلى القاع والحضيض.

٢- الزواج من الأجانب:

من آثار الابتعاث قيام المبتعثين والمبتعثات بالزواج من أجانب في تلك البلاد.

ففي تحقيق أعدته وكالة (سعوديون في أمريكا) كشف مبتعثون ومبتعثات من السعودية أنهم ينوون البقاء في أمريكا بسبب اقترانهم بزوجات أجنبيات. وقد استقرأ التقرير الطلاب والطالبات المتزوجين من أمريكيين، حيث إن ما لا يقل عن ثلاثين طالب وطالبة من المبتعثين في السنوات الأخيرة تزوجوا من أمريكيين بغية البقاء في الولايات المتحدة الأمريكية. وأشارت إحدى المبتعثات أنها تزوجت من أمريكي حتى تتمكن من الإقامة الدائمة هناك^(٢).

ومن المعلوم أن الزواج من الأجانب له آثاره ومخاطره الدينية والاجتماعية والسياسية^(٣)... حيث إن القاعدة العامة أن الزواج بالأجنبيات

(١) صحيفة الرياض، العدد (١٥٣٦٩)، التاريخ (١١/٨/١٤٣١هـ).

(٢) تحقيق بعنوان: (مبتعثون يريدون البقاء بعد البعثة... وآخرون تزوجوا من أجنبيات).

(٣) ينظر: الزواج من أجنبيات وأثره على أبناء الخليج العربي، الدكتور يوسف عبد الفتاح، ص (٥).

غير المسلمات يسلب البيت الإسلامي جوّه الروحي ويُبدل كثيرا من قيمه، والغالب أن مثل هذا البيت لا ينشأ على اللغة العربية.

"ثم يجب أن ندرك أن الزواج بالأجنبيات أو الأجانب ينشأ دائما من دواع عارضة: من استلطاف في أمر من الأمور، أو فورة عاطفية، أو ألفة في رحلة، أو هربا من نفقات الزواج في الشرق، أو من جبن اجتماعي في البيئة التي نشأ فيها المبتعث وانفتاح البيئة الجديدة التي وجد فيها نفسه، أو ما يشبه ذلك من الأمور الوقتية الزائلة.

وكذلك يجب أن نعلم أن أشخاصا لهم قيمة اجتماعية وسياسية أو قيمة ذاتية على الأقل وضع في طريقهم فتيات تزوجوهن ثم وجدوا أنفسهم مضطرين إلى الانسلاخ من بيتهم فخسرتهم مجتمعاتهم وفقدت بفقدانهم عاملا قويا في نهضتها وإصلاحها.

ويتمثل الخطر من الزواج بالأجنبيات في صورة بارزة جدا حينما تكثر الزوجات غير المسلمات في البيئات الإسلامية، فتتخلخل الحياة حينئذ تلك البيئات وتضعف الحياة الإسلامية فيها.

وأوجد الزواج بالأجنبيات مشكلة اجتماعية ذات أبعاد خطيرة وهي مشكلة العنوسة في المجتمعات الإسلامية.

وهكذا يكون الغربيون، قصدوا أو لم يقصدوا، وأردنا نحن أم لم نرد، قد وصلوا إلى أهداف سياسية ودينية"^(١).

ويشار في هذا الصدد إلى أن وزارة الداخلية حذرت عبر برنامج (أمن وأمان) الذي عُرضَ في القناة الأولى وفي عدة حلقات من أخطار

(١) التبشير والاستعمار، مصطفى خالدي وعمر فروخ، ص (٢٠٦ - ٢٠٧) بتصرف.

الزواج من الأجنيات.

كما حذر عضو مجلس إدارة الجمعية الخيرية لرعاية الأسر السعودية في الخارج من تنامي مخاطر ظاهرة زواج المواطنين من أجنيات، وقال: بأن سفر المواطنين للتعليم أو السياحة يغري الكثير منهم للزواج من أجنيات، ظنا منهم أن هذا الزواج أقل تكلفة وأكثر سعادة، إلا أن الدراسات والوقائع تنفي صحة هذا النوع من الزواج والمشاكل الضخمة التي تترتب عليه^(١).

وجزم مدير الشؤون الإعلامية والثقافية للملتقي السعودي في أمريكا (عبدالله الحزيمي) بصعوبة إيجاد رقم دقيق أو تقريبي لنسبة زواج المبتعثين من أمريكيات.

وأكد (الحزيمي) توجه بعض المبتعثين مؤخرا للزواج من أمريكيات للحصول على بطاقة الإقامة الأمريكية.

مبينا التقاء شخصيا بعدد من الأمريكيين من آباء سعوديين وأمهات أمريكيات من مبتعثي الثمانينات الميلادية!!^(٢).

ونشرت إحدى الصحف المحلية خبر اعتناق شاب سعودي للنصرانية نتيجة إهمال والده له وتركه في الخارج مع والدته الأوربية^(٣).

ونظرا لتنامي ظاهرة زواج المبتعثين من أجنيات، فقد شرع مجلس الشورى في إعادة دراسة أحد البنود التي تتضمنها لائحة الزواج من

(١) صحيفة الرياض، العدد (١٥٣٤٩)، التاريخ (١٤٣١/٧/٢١هـ).

(٢) خبر بعنوان: (إجراءات للحد من زواج المبتعثين من أجنيات).

(٣) صحيفة الوطن، العدد (٢٨١٣)، التاريخ (١٤٢٩/٦/٨هـ).

الخارج، وهو البند الذي ينص على منع الطلبة المبتعثين من الزواج بأجنبيات، لإزالة هذا المنع؛ لأنه تم اكتشاف عدد من المبتعثين متزوجين بأجنبيات ولكنهم لم يستطيعوا إحضار زوجاتهم وأولادهم بعد انتهاءهم من الدراسة^(١).

(١) صحيفة الحياة، التاريخ (٢٦/٢/٢٠٠٦م).

خامساً: الآثار الأمنية

١ - قطع الانتماء الوطني :

إن من آثار البعثات العلمية إضعاف الانتماء الوطني أو قطعه، وذلك ناتج عن طول الإقامة في بلد الدراسة مع الإعجاب بها، فيتولد لدى المبتعث احتقار بلده والتصغير من شأنها. مع الرغبة في الإقامة الدائمة في تلك البلاد.

حيث إنه مع مرور الأيام وطول سني الدراسة تتوثق عرى الارتباط بين هؤلاء الدارسين وبين أنماط الحياة في تلك المجتمعات، فيصبحون بعد ذلك جزءاً منها، ومن ثمّ يتعذر عليهم أن ينفصلوا عنها بسهولة.

وفي بحث أجراه أحد المختصين الأمريكيين وخلال المقابلات التي أجراها مع الطلاب المبتعثين المتنعين عن العودة إلى بلدانهم، أحس بأنهم يميلون دائماً إلى مقارنة الأحوال في مجتمعاتهم من جميع جوانبها مع الأحوال في أمريكا، وبطبيعة الحال كان الميزان في نظرهم يميل دائماً في صالح الدولة الأخيرة.

بل إن بعضهم قد انتهاز الفرصة التي تتيحها له بلاده بالسفر إلى الوطن مجانياً خلال فترة الابتعاث، فذهب لزيارة وطنه قرب انتهائه من دراسته بغية إلقاء نظرة أخيرة وعقد مقارنة غير عادلة، ثم عاد ليقرر الامتناع عن العودة بحجة أن الحياة لم تعد تحتل على أرض الوطن، وأن الأمور هناك تسير

من سيء إلى أسوأ^(١).

وفي تحقيق أعدته وكالة (سعوديون في أمريكا) كشف مبتعثون ومبتعثات من السعودية أنهم ينوون البقاء في أمريكا بعد أن أعجبوا بالحياة الأمريكية، والبعض الآخر عزا بقاءهم في أمريكا بسبب اقترانهم بزوجات أجنبيات.

وجاء في التقرير أن أحد الطلاب قال: إن الحياة في أمريكا لها طعم خاص، هذه هي الحياة!!

وقد استقرأ التقرير الطلاب والطالبات المتزوجين من أمريكيين، حيث إن ما لا يقل عن ثلاثين طالب وطالبة من المبتعثين في السنوات الأخيرة تزوجوا من أمريكيين بغية البقاء في الولايات المتحدة الأمريكية.

وأشارت إحدى المبتعثات أنها تزوجت من أمريكي حتى تتمكن من الإقامة الدائمة هناك.

وقالت طالبة أخرى: إنها لم تعد تطيق الحياة في السعودية، فالحياة في أمريكا أكثر حرية.

وأضافت مبتعثة أخرى قائلة: قررت الزواج وعدم العودة، وقد أخبرت والدتي وتفهمت الوضع وترغب أن تكون بجانبني.

وقالت مبتعثة أخرى: لم أتردد خطوة أخرى أن استغل البعثة للهروب من المجتمع!!^(٢).

والهجرة أو الرغبة في الإقامة في بلاد الدراسة ظاهرة قديمة وليست

(١) هجرة العلماء من العالم الإسلامي، الدكتور محمد مرسي، ص (١٦٥ - ١٦٦).

(٢) تحقيق بعنوان: (مبتعثون يريدون البقاء بعد البعثة... وآخرون تزوجوا من أجنبيات).

جديدة، "فالولايات المتحدة الأمريكية هي أكثر بلاد العالم جذبا للكفاءات، فقد هاجر إليها ثلاثة وأربعون ألف عالم ومهندس مسلم ما بين عامي (١٩٤٩ - ١٩٦١م).

وكان بمستشفياتها بين عامي (١٩٦٤ - ١٩٦٥م) أحد عشر ألف طبيب من خريجي جامعات غير أمريكية، ثمانية آلاف منهم من البلاد النامية، ثم إن ٩٠٪ من الذين يقدمون إلى الولايات المتحدة الأمريكية للدراسة لا يعودون إلى أوطانهم، وخلال المدة الواقعة بين (١٩٦٢م - ١٩٦٧م) خسرت البلاد العربية (أربعين ألفا وثمانمائة واثنين وسبعين) من المهندسين والأطباء وعلماء الاجتماع بهجرتهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية من ثمانية دول عربية: مصر، الأردن، سوريا، العراق، لبنان، تونس، الجزائر، المغرب.

وهذه الهجرة من البلاد العربية والنامية انتقائية فالدول الصناعية تختار من بين المتقدمين للهجرة إليها ذوي الكفاية التي تحتاج إليها^(١).

والمبتعثون الممتنعون عن العودة لأوطانهم بعد إنهاء دراستهم يشكلون المشكلة الحقيقية والإضافة الخطيرة لنزيف العقول البشرية، إن نسبة هؤلاء الممتنعين عن العودة من بين الطلاب الذين ذهبوا إلى أمريكا بغرض الدراسة تصل إلى (٤٨٪) منهم... هكذا يقول تقرير حكومي أمريكي، وهذه ولا شك نسبة خطيرة.

ففي عام (١٩٦٧م) نجد أنه من بين (٧٩١٣) طالب في مجالات العلوم والهندسة والطب قد امتنع (٣٧٧٢) طالباً عن العودة لبلادهم

(١) الغزو الفكري في العالم العربي، عبد الله عبد الجبار، ص (٦٨ - ٧٠).

الأصلية، وذلك بعد أن دخلوا أمريكا بالنية الصريحة والمعلنة بالعودة إلى أوطانهم بعد إنتهاء دراستهم^(١).

وتقرر الدراسات بصدد ذلك أن ما يقرب من ثلاثة أرباع المهاجرين العرب من ذوي الكفاءات العلمية دخلوا الولايات المتحدة الأمريكية كطلاب أو دارسين بينما دخلها الباقون كمهاجرين شرعيين، وتشمل الفئة الأولى خريجي الجامعات الأمريكية الذين استقروا في أمريكا أو أولئك الذين عادوا إلى بلادهم واستقروا فيها لفترة قصيرة من سنتين إلى أربع سنوات ثم هاجروا إلى الولايات المتحدة حين لم تيسر لهم الظروف الاقتصادية أو ظروف العمل الاستقرار في بلادهم^(٢).

وتتأكد المخاوف من إقامة المبتعثين في بلد الدراسة أكثر بسبب عدم التخطيط السليم للابتعاث، إذ يتم ابتعاث أعداد كبيرة، وفي تخصصات موجودة في الجامعات الداخلية، مع عدم توفر فرص وظيفية لهؤلاء المبتعثين عند عودتهم إلى بلادهم، خاصة إذا علمنا أن نسبة البطالة في ازدياد، وأن عددا من خريجي الجامعات وبعضهم من أصحاب المؤهلات العليا لا يجدون عملا!!

إن الابتعاث غير المنظم والمدرّوس، الذي لم يراع الحاجة ولم يكن قائما عليها، سبب رئيس وعامل كبير في إثثار المبتعثين البقاء في تلك البلاد على العودة إلى أوطانهم، مما يعني أن الابتعاث بتلك الصورة وعلى ذلك النحو لا يعدو أن يكون خدمة مجانية تقدمها الدول النامية للدول الصناعية

(١) هجرة العلماء من العالم الإسلامي، ص (٨٨).

(٢) العرب في أمريكا، جمال زكريا، ص (٢٦٣).

الكبرى ، وحينئذ فلا فائدة فيه ولا ثمرة من ورائه^(١).

وصرح الملحق التعليمي في واشنطن أنه يوجد في الولايات المتحدة ما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف طالب وطالبة من المبتعثين ممن يحملون الجواز الأمريكي. وهم أولاد من كانوا مبتعثين في الفترات السابقة^(٢).

ولعلي أختتم الحديث حول هذه القضية بما أوردته إحدى الصحف عن مصدر موثوق بالإدارة العامة للتدريب والابتعاث بوزارة الصحة أوضح فيه أن وزارة الصحة في السعودية تواجه مشكلة حقيقية في تراجع رغبات عدد كبير من الأطباء السعوديين المبتعثين من قبلها في العودة للعمل في مستشفياتها، إذ إن ما يقرب من ثلاثمائة طبيب سعودي اختاروا العمل في مؤسسات صحية خارج المملكة خلال العامين الماضيين^(٣).

٢- الانضواء تحت الجمعيات والتجمعات المشبوهة:

من آثار الابتعاث النكدة انضواء بعض المبتعثين تحت الجمعيات والتجمعات المشبوهة.

(١) ينظر :

- نزيف الأدمغة العربية، الدكتور عطف ياسين، ص(٣٩ - ٩٤).
- هجرة الكفاءات العربية، بحوث ومناقشات، ص(٤٣).
- نزيف العقول البشرية، الدكتور محمد مرسي، ص(١١٧).
- هجرة العلماء العرب، الدكتور محمد عبدالقادر، (ص٥١).
- هجرة العقول العربية، درة أحمد علي، ص(١١).

(٢) صحيفة الرياض، العدد(١٥٥٠٩)، التاريخ (١/١/١٤٣٢هـ).

(٣) صحيفة الوطن، العدد(٢٥٩٨)، التاريخ (١٠/نوفمبر/٢٠٠٧م).

إذ من المعلوم أن الغرب يعج بالجمعيات والأندية ذات الأهداف المشبوهة، كما فيه كثير من التنظيمات المنحرفة، فضلا عن حركات المعارضة الخارجية، التي قد تعمل على استقطاب الأغرار من المبتعثين للانضواء تحت لوائها.

ونشرت الصحف الإلكترونية خبرا بعنوان: (مبتعثون سعوديون يزورون السفارة الإسرائيلية في واشنطن) جاء فيه: قام عشرات الطلاب من السعودية وباكستان والبحرين والإمارات وقطر بزيارة للسفارة الإسرائيلية في واشنطن، وقد أصغى الطلاب إلى موظفي السفارة وطرحوا بعض الأسئلة، وفي ختام اللقاء صافح الطلاب مدير العلاقات العامة بالسفارة وطلبوا التقاط الصور معه، وتسلم كل طالب كراسات حول إسرائيل وصورا وأقراصا مدججة.

وقد قامت الملحقية السعودية في واشنطن بنفي تلك الزيارة^(١)، وهي لا يسعها إلا ذلك.

وحذر وكيل وزارة التعليم العالي في لقاء مع المبتعثين من (الاختراق الثقافي للوطن) مبيناً أن حديثه كان "من باب التحذير لأن المبتعث قد يلتقي مع بعض الحاقدين على السعودية، الذين يريدون تجنيده لمصلحة مخططاتهم"^(٢).

كما حذر الدكتور محمد البجاد - عضو هيئة التدريس في جامعة نايف للعلوم الأمنية - المبتعثين من مغبة الانخراط في أي جماعة أو حزب سواء

(١) خبر بعنوان: (الملحقية بواشنطن تنفي زيارة مبتعثين للسفارة الإسرائيلية).

(٢) صحيفة الحياة، العدد (١٧٤٢٦)، التاريخ (١٤/١/١٤٣٢هـ - ٢٠/١٢/٢٠١٠م).

كانت مرخصة في دولة الابتعاث أو غير مرخصة^(١).

ومن المعلوم أن هناك توجهاً قوياً لدى مراكز القرار في الغرب لاستخدام وتطويع بعض أبناء العالم الإسلامي لخدمة أهدافهم.

وقد أشار (غي سورمان) في كتابه: (أبناء رفاة الطهطاوي) إلى أهمية أن تنبه مراكز القرار الغربي إلى أهمية الاستفادة من الليبراليين - الذين سماهم أبناء رفاة - المقيمين في الغرب لمواجهة الإسلام ودوله، وجاء في آخر كتابه: (إن مصير أبناء رفاة رهين بتضامننا، وإن أمننا رهين بمصيرهم)^(٢).

وجاء في كلمة الناشر: "أم يحزن الوقت بعد لمساندة هؤلاء الحلفاء الطبيعيين للغرب؟ في الغالب تفضل حكوماتنا التعامل مع حكام طغاة، وهذا خطأ فادح! من منظور مستقبلي، الأمر الوحيد القادر على حماية أمننا الخاص يتمثل في تحرير المسلمين من الإسلاميين، ومن الحكام الطغاة، ومن الجهل والفقر".

ولذا لا عجب أن تدخل السفارات الأجنبية في الأمر، فأعلنت السفارة البريطانية في السعودية عن منح دراسية للسعوديين من الجنسين تقدم لها مائة طالب وطالبة، تم اختيار ثلاثة عشر منهم، تسع طالبات وأربعة طلاب، وقد صاحب الخبر صورة للطلاب والطالبات مع أعضاء السفارة، والطالبات كن سافرات متكشفات^(٣).

(١) صحيفة الرياض، العدد (١٥٥٠١)، التاريخ (١٤٣١/١٢/٢٦ - ٢٠١٠/١٢/٣ م).

(٢) أبناء رفاة الطهطاوي، ص (٣٠١).

(٣) صحيفة الوطن، العدد (١٢٦٥)، التاريخ (١٤٢٥/١/٢٦ هـ).

كما أعلنت السفارة أيضا عن منح أحد عشر موهوبا وموهوبة فرصة الابتعاث إلى بريطانيا لإكمال دراستهم، وقد استقبل السفير البريطاني المبتعثين في حفل أقيم في منزله، وقال السفير في حديثه: "هذه البعثة ليس لأننا نحبكم ونحب لون عيونكم، هذه هدية من حكومتي البخيلة لعقولكم...". وقد صاحب الخبر أيضا صورة للمبتعثين مع السفير والمبتعثات سافرات^(١).

٣- ما يتعرض له المبتعثون من مضايقات واعتداءات:

يواجه المبتعثون أنواعا من المضايقات العنصرية أحيانا، ونتيجة الجهل بقوانين تلك الدول أحيانا أخرى.

فمن المبتعثين من يقضي عقوبة السجن لسنين عددا في تهم ملفقة، ولا يزال هؤلاء في السجون الغربية يعانون تسلط الكفار عليهم وظلمهم لهم.

ومن المبتعثين والمبتعثات من يتعرض للاعتداءات العنصرية؛ لأن المبتعث مسلم، والمبتعثة محجبة.

وقد قالت صحيفة الحياة: "الطلاب السعوديون في أمريكا: ضحايا تصنيف التأشيرة وتعسف مسئولى المطارات"^(٢).

وقالت الصحيفة أيضاً بتاريخ (٢٢/١/٢٠٠٨م) إن المبتعثين في بريطانيا تعرضوا لعشرين حالة إعتداء عنصرية خلال عشرة أشهر!! ونقلت صحيفة المدينة خبر اعتقال عدد من الطلبة المبتعثين في

(١) صحيفة الوطن، العدد (١٧٤٢)، التاريخ (١٧/٥/١٤٢٦هـ).

(٢) صحيفة الحياة، العدد (١٦١٣٦)، التاريخ (٢٣/٥/١٤٢٨هـ).

الولايات المتحدة، وما يواجهونه من تعنت وسوء معاملة من السلطات هناك^(١).

وزيادة على هذا سأنقل للقارئ عناوين أخبار نشرتها الصحف الإلكترونية تبين بجلاء معاناة المبتعثين والمبتعثات.

(المبتعث في بريطانيا يرقد في العناية المركزة في حالة حرجة بعد إصابته بغيبوبة ونزيف في المخ نتيجة الاعتداء العنصري عليه بالضرب).

(مبتعث يتعرض لطعنات متفرقة بنيويورك).

(مبتعثة: العناية الإلهية أنقذتني من الاغتصاب في موقف سيارات).

(مبتعث سعودي يتعرض للضرب المبرح في جامعة سيركيس الأمريكية).

(نجاة أربعين مبتعثا سعوديا من إطلاق نار عشوائي في أمريكا).

(تحسن حالة المبتعث السعودي بعد مشاجرة مع عشرين بريطانيا).

(شباب أمريكيين يعتدون على سبعة طلاب سعوديين مردين: عودوا إلى أفغانستان).

(الاعتداءات العنصرية على أبنائنا المبتعثين).

(طالب سعودي تعرض للضرب والسب تحت تهديد السلاح في أمريكا).

(تعرض مبتعث سعودي في أستراليا للضرب من قبل ثلاثة مجهولين).

(طالب سعودي يتعرض للطعن في أمريكا).

(مجهول يحاول قتل طالب سعودي في أمريكا ودفن جثته).

(اختطاف أربعة طلاب سعوديين في أوكرانيا).

(البحث عن طالب سعودي مفقود في أستراليا).

وطالبت إحدى الكاتبات (وهي مبتعثة) المبتعثات بخلع الحجاب؛ لأنها لا تريد أن تمر أي سعودية بما مرت به وغيرها ممن كن يرتدين الحجاب في الغرب وتعرضن لإساءات وتحرشات من قبل المتطرفين!!^(١).

وصرّحت الملحقية السعودية بواشنطن قائلة: ملاحظات على مبتعثينا قد تؤدي بهم للسجن والترحيل^(٢).

إذن: فلماذا نرمي بأبنائنا وبناتنا في ديار مذلة؟ يقاسون ويعانون تحت وطأة من لا يرقب فيهم إلا ولا ذمة!!

وفي ختام هذا الفصل (آثار الابتعاث) لا بد من الإشارة إلى أمرين:
الأمر الأول: ما أكده (تركي الظفيري) - مذيع في قناة المجد وأحد المبتعثين إلى بريطانيا - عبر برنامج (يوم جديد) على قناة المجد من أن الملحقيات الثقافية ووزارة التعليم العالي ليس لها أي جهد من حيث المتابعة والتوجيه وإصلاح الوضع الديني والأخلاقي للمبتعثين.

كما أكد الدكتور ناصر العود - أستاذ الخدمة الاجتماعية في جامعة الإمام - أن ما يؤخذ ويلاحظ على برنامج وزارة التعليم العالي للابتعاث الخارجي هو عدم الاهتمام الكافي بتوفير خدمات الإرشاد الاجتماعي

(١) خبر بعنوان: (الكاتبة: صبرية جوهر: كرهت النقاب لما تعرضت له من إساءات في الغرب).

(٢) الصحيفة الإلكترونية الأولى، خبر بعنوان: (الملحقية السعودية بواشنطن: ملاحظات على مبتعثينا قد تؤدي بهم للسجن والترحيل).

والنفسى لا سيما فى ظل وجود مشكلات سلوكية عديدة تواجه المبتعثين والمبتعثات^(١).

على أن هذا الأمر لا يحتاج إلى مزيد دليل أو شاهد إذ كل من درس فى الخارج يعلم أن الملحقىات الثقافية ليس لها علاقة بأوضاع الطلاب من هذا الجانب وليس عندها آلية لمتابعة ذلك أصلاً.

الأمر الثانى : أن بعض المتحمسين للابتعاث والمندفعين نحوه قد يحتج بأن آثاره السيئة لا تصمد أمام فوائده وعوائده، والحق أنه ليس هناك وضوح فى المراد من الابتعاث، أهو التعلم فى حد ذاته؟ فهذا موجود فى جامعاتنا!!

أم هو التفوق ونقل التقنية مجارة الدول الكبرى؟ وهذا لم يتحقق فى بلاد الإسلام كلها على الرغم من مضي مائة وخمسين عاماً على الابتعاث!!

بل فى بلادنا ماذا قدّم المبتعثون على مدى ستين عاماً من عمر الابتعاث؟

إن الذى يظهر أنه ليست هناك رؤية واضحة لأهداف الابتعاث والمراد منه، بل إنى تعجبت كثيراً عندما اطلعت على الهدف الأول من أهداف الابتعاث الذى جاء فيه ما نصه: "ابتعاث الكفاءات السعودية المؤهلة للدراسة فى أفضل الجامعات فى مختلف دول العالم"^(٢) حيث إن هذه الصياغة ليست صياغة للأهداف فضلاً عن أن تكون ذات بعد علمى أو اقتصادى.

(١) صحيفة الرياض، العدد (١٥٥٤٠)، التاريخ (١٤٣٢/٢/٦هـ - ١٠/١/٢٠١١م).

(٢) موقع وزارة التعليم العالى على شبكة الإنترنت (أهداف البرنامج).



أقوال علماء الإسلام ودعائه في التحذير من مخاطر الابتعاث

منذ أن نزلت نازلة الابتعاث في بلاد الإسلام تداعى علماء الإسلام ودعائه في التحذير منه وبيان خطورته وما يكتنفه من المخاطر على الدين والأخلاق قياما بواجب النصيحة ولإبراء الذمة وسعيا لحماية الأمة. وسأنقل في هذا الفصل ما وقفت عليه من مقالات علماء الإسلام ودعائه ليقف القارئ على جهود وجهاد هؤلاء المخلصين.

- قال الشيخ عبد الرحمن السعدي (من علماء السعودية) (ت: ١٣٧٦هـ): "فكيف يرضى من عنده دين وعقل أن يضع ولده وפלذة كبده ويسلمه لمدارس أجنبية قد علم عداؤها لدين الإسلام، بل لجميع الأديان، ولم تؤسس إلا لصد الناس عن دين الله

وتوحيده؟" (١).

- وقال الشيخ المحدث أحمد بن محمد شاكر (من علماء مصر) (ت: ١٣٧٧) تعليقا على حديث: [لا تسافر المرأة ثلاثا إلا ومعها ذو محرم]: "هذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام لصيانة المرأة وحفظها أن تتعرض لما يفسد خلقها، ويمس عرضها، بأنها ضعيفة يسهل التأثير عليها، واللعب بعقلها، حتى تغلبها شهوتها، وقد أعرض المسلمون في عصرنا، أو بعبارة أدق: من يسمون مسلمين وينتسبون إلى الإسلام. فتراهم، كما نرى، يطلقون نساءهم، من الطبقات التي تسمى عليا، ومن غيرها من الطبقات، فيجلن في البلاد، ويخرجن سافرات غير محصنات، حتى يسافرن إلى الأقطار الأوربية والأمريكية وغيرها، وحدهن، ليس معهن محرم فيفعلن الأفاعيل، وتأتي أسوأ الأخبار عنهن، لا يتورعن ولا يستحين، وليس لهن من رادع، بل إن الدولة، وهي تزعم أنها دولة إسلامية، لترسل الفتيات في بعثات للتعليم في البلاد الأجنبية، وهن في فورة الشباب، وجنون الشهوة، ولا تجد أحدا ينكر هذا المنكر، أو يأمر في ذلك بالمعروف، بل إن علماء الأزهر لا يحركون في ذلك ساكنا، إن لم أقل إنهم صاروا لا يرون في ذلك بأسا، إن لم أقل إن لبعضهم بنات يتردن في هوة هذه البعثات.

ولقد حدثت أحداث لا يرضى عنها مسلم، من أسوأها أثرا أن كثيرات ممن يسافرن إلى بلاد الكفر والاحاد، من أعلى الطبقات في الأمة، ومن غيرها، ارتددن عن دينهن، اتباعا للشهوة الجاحمة، وتزوجن برجال

من كفار أوربا وأمريكا الملحدین الوثنيين، الذين ينتسبون كذبا إلى اليهودية أو المسيحية، فاخترن سخط الله وأبين رضوانه، هن وأهلهن، ومن رضي عنهن وعن عملهن، وإنا لله وإنا إليه راجعون" (١).

وأقول: ما أشبه الليلة بالبارحة، فما حذر واشتكى منه الشيخ أحمد شاکر قبل سبعين سنة نراه ماثلا بين أعيننا في مجتمعات المسلمين المعاصرة.

- وقال الشيخ محمد الخضر حسين (شيخ الأزهر في زمانه) (ت: ١٣٧٨هـ): "لم يتفش زيغ العقيدة فيما سلف تفشيه اليوم؛ لأن وسائل ساعدت على سريان وبائه لم توجد قبل، وأمهات هذه الوسائل ثلاثة أمور:

(أحدها): هذه المدارس التي يفتحها الأجانب في أوطاننا باسم العلم، ويغفل بعض المسلمين عن سريرتها، فتأخذهم بمظاهرها حتى يسلموا أطفالهم وهم على الفطرة إلى من يصبغ هذه الفطرة بسواد.

(ثانيها): تهاون بعض الآباء بواجب أبنائهم، إذ يرسلون الناشئ إلى معاهد العلم بأوربا قبل أن يتلقن من علوم الدين ما يجعل عقيدته مطمئنة، فيلاقي في أثناء دراسته هنالك أو في بعض المحادثات شبهاً لا يجد في نفسه من الحجج ما يدفعها، وإذا تواردت الشبه على الناشئ رانت على قلبه، وأصبح يبصر وجه الحق أسود قائما، فيعود إلى وطنه وهو يحمل لأبويه عقيدة أنهما في ضلال قديم، وذلك جزاء من يستهين بهدى الله، ولا يهमे إلا أن يكون لابنه مورد رزق واسع، أو منصب في أحد الدواوين وجيه.

(ثالثها): إن كثيراً من الحكومات الإسلامية ضعف فيها روح

الاعتزاز بالدين الحنيف، فاستباح واضعوا برامج التعليم العام في مدارسها أن لا يضربوا لعلوم الدين بسهم، ومن يضرب لها بسهم لا يغني من جهل، والتعليم الذي يهضم فيه جانب العلوم الدينية، لا يرجى منه تهئية نشء تتساقط عليهم الشبه فيطردونها، أو توسوس إليهم الشياطين فيستعينون منها"^(١).

- وقال الشيخ محمد بن إبراهيم (مفتي البلاد السعودية في زمانه) (ت: ١٣٨٩): "والذي أراه يتعين ولا يسوغ العدول عنه، هو منع البعثات إلى الخارج بتاتا سدا لباب الردة والنشء الكفري، وقطعا لمادة الفتنة، وتمييزا وتفريقا بين الحق والباطل باتخاذ تعليم ما يلزم تعليمه في نفس المملكة، وجلالة الملك أيده الله جازم بهذا، ولدى جلالته غاية المعرفة بغوائل البعثات، ووجود النشء في البلاد الأخرى بمجرد في غاية الشر، فكيف وجودهم هناك مرتضعين لدى مدارس التبشير والكفر، أو مدارس الإلحاد والبدعة وإن ادعوا الإسلام"^(٢).

- وقال الشيخ محمود الصواف (من علماء العراق) (ت: ١٤١٣هـ) في حديثه عن خطط الأعداء لمحاربة للإسلام: "إرسال أكبر قدر ممكن من شباب المسلمين وأبنائهم إلى ديار الغرب لينهلوا من ثقافته المسمومة هناك، ويعودون إلى ديارهم وقد ودّعوا هناك دينهم وخلقهم ومبادئهم، ورجعوا يحملون همّ الأمانة، أمانة التبشير وحرب الرسالة"^(٣).

(١) رسائل الإصلاح، ص (٢٣ - ٢٥).

(٢) فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم (١٣/٢١٧).

(٣) المخططات الاستعمارية، ص (٢٥).

- وأوضح الشيخ عبدالرحمن الدوسري (من علماء السعودية) (ت: ١٣٩٩) ما حققته الماسونية العالمية من تسخير طائفة من أبناء المسلمين ممن تخرج في المدارس الاستعمارية وجامعتها، فسار على ما خططته اليهودية في الميدان الثقافي بكامله^(١).

- وقال الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد (من علماء السعودية) (ت: ١٤٠٢هـ): "كيف نرضى أن نبعث أولادنا الصغار إلى كل من أمريكا أو البلاد الفلانية، فيقول: ولدي ذهب يتعلم، يتعلم الكفر، يتعلم الزندقة، يتعلم الانحراف، يتعلم التنكر لأهله وبلاده ودينه!! لأنهم يعلمونه هذا. كما قال زويمر، زويمر هذا هو رئيس المبشرين النصارى، وهو الذي يبعث المبشرين في الأقطار العربية الإسلامية، جمعهم بعدما فرقهم، وقال: أخبروني ماذا عملتم في البلاد الإسلامية؟ قال أحدهم: أنا نصرت خمسة، والآخر قال: اثنين. قال: باركت لكم الكنيسة، وشكرهم، قال: لم تفتنوا للغرض الذي نريده، المسلم لا يمكن أن يتنصر أبداً، والمسلم لا يمكن أن يتنكر لدينه إلا إذا كنتم أنتم الذين تعلمونهم العلوم، العلوم الغربية،... وقال مرة في خطبة له أخرى: إن الإسلام كالشجرة فيجب قطعها بأغصانها، وأغصانها هم أولاد المسلمين علموهم حتى يساعدوكم على قطع شجرة الإسلام في بلادهم، أنتم لا تستطيعون أن تقطعوها بل علموا أولادهم يساعدونكم على اجتثاث الإسلام في بلادهم، هذا قولهم. إذا كان هذا قولهم فكيف يسمح الإنسان أن يبعث ولده وهو صغير لم يتشبع بالعقيدة الصحيحة إلى ألمانيا، إلى فرنسا، أمريكا، إيطاليا، لندن،

كل هذا من الغلط ، يأتيك متكرراً لدينه ، متكرراً لوالديه يحقرهم ، ويرى أنهم لا يفهمون ولا يعرفون ، وهو الذي في الحقيقة لا يفهم ولا يعرف ، متكرراً لحكومته ، متكرراً لبلاده...^(١).

- وكتب الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود (مفتي دولة قطر في زمانه) (ت : ١٤١٧ هـ) رسالة بعنوان : (رسالة إلى الحكام بشأن الطلاب المبتعثين للخارج). جاء فيها : "التعلم في الخارج محفوف بالأخطار والأضرار ، فهو خطر على العفاف والشرف وعلى العقيدة والأخلاق لكثرة من يلقونه ويختلطون به ممن ليس على دينهم ، وقد تؤثر فيهم مجالستهم ومؤانستهم مع صغر سنهم ، وكون قلوبهم قابلة لما يلقي فيها من الخير والشر ، ويا ليت شعري ماذا يرجعون به ؟ وما يستفيدون من هؤلاء الأساتذة ؟ فإنهم بمجرد الاختبار والتجربة يرجع أحدهم إلى أهله وهو ساذج من العلم والمعرفة ، مزيف مغشوش بشهادة النجاح الكاذبة التي لا حقيقة لها سوى الغش ، بمحاولة تكثير سواد الطلاب عندهم وفي بلدهم لما يكتسبونه على إثرهم من المادة... وإن من الرأي السديد والأمر المفيد غلق هذا الباب عن سائر الطلاب لحصول الكفاية التامة بالمعلمين من داخل البلدان العربية ، والاستغناء بهم عن السفر للخارج بالكلية ، فيا ليت شعري من الذي يفوز بالسبق إلى غلق هذا الباب الذي أحدث القلق والاضطراب في عقائد الطلاب ؟ فإن خير الناس من يكون مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر... أما سفر البنات الطالبات إلى الخارج فإنه أشد ضرراً وأكبر نكراً.. فهذه نصيحتي لكم ، والله خليفتي عليكم...^(٢).

(١) الفتاوى والدروس في المسجد الحرام ، ص (٩٤٢ - ٩٤٣).

(٢) مجموع رسائل الشيخ عبدالله آل محمود ، (٤٠٤/٣ - ٤١٣).

- وقال الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (مفتي السعودية في زمانه) (ت: ١٤٢٠هـ) مبنياً أن من أساليب الغزو الثقافي ابتعاث أبناء المسلمين إلى: "الجامعات الأوروبية والأمريكية وغيرها حيث يواجهون هناك بسلسلة من الشبهات والشهوات على أيدي المستشرقين والملحدّين بشكل منتظم، وخطط مدروسة، وأساليب ملتوية، في غاية المكر والدهاء، حيث يواجهون الحياة الغربية بما فيها من تفسخ وانحلال وخلاعة ومجون... وهؤلاء بعد إكمال دراستهم وعودتهم إلى بلادهم وتسلمهم المناصب الكبيرة في الدولة أخطر من يطمئن إليهم المستعمر بعد رحيله، ويضع الأمانة الخسيسة في أيديهم ينفذوها بكل دقة، بل بوسائل وأساليب أشد عنفاً وقسوة من تلك التي سلكها المستعمر، كما وقع ذلك فعلاً في كثير من البلاد التي ابتليت بالاستعمار أو كانت على صلة وثيقة به"^(١).

- وقال رحمه الله في موضع آخر: "لا يجوز الابتعاث إلى بلاد الشرك؛ فهو أصل البلاء الذي وقع فيه الناس اليوم، فالابتعاث إلى بلاد المشركين خطر عظيم، وإذا كان ابتعاث الشباب الجاهل فهذا أشد وأشد وأخطر"^(٢).

- وقال أبو الحسن الندوي (من علماء الهند) (ت: ١٤٢٠): "بدأ صفوة الأذكياء وخيرة الشباب يدرسون العلوم العصرية في مصر، ثم يؤمون عواصم الغرب ومراكز الثقافة العصرية الكبرى في أوروبا للتوسع في الدراسات والتعمق فيها، ويخوضون هناك في لجة الحضارة الغربية... ورجع

(١) مجموع الفتاوى، (٣٨٦/١).

(٢) الفوائد العلمية من الدروس البازية، (٢٠/٣).

أكثر هؤلاء الشباب المسلمين طليعة الفكر الغربي، ودعاة متحمسين إلى تقليد الحضارة الغربية وقيمها ومفاهيمها وتصوراتها^(١).

- وتحدث الشيخ علي الطنطاوي (من دعاة الشام) (ت: ١٤٢٠) عن مخاطر الابتعاث في رسالة وجهها لأخيه، فقال: "لقد بينتُ فيما أكدته لي الأيام وأثبتته لي التجارب، أن جلّ الفساد الذي دخل مجتمعا، فأضاع أخلاقنا، وأبعدنا عن ديننا... إنما جاء كله من الغرب، من أوروبا وأمريكا من ذهاب أبنائنا إليه... يا أخي إنك تمشي إلى بلد مسحور، والعود بالله، الذاهب إليه لا يؤوب، إلا أن يؤوب مخلوقا جديدا، وإنسانا آخر غير الذي ذهب، يتبدل دماغه الذي في رأسه، وقلبه الذي في صدره، ولسانه الذي في فيه، وقد يتبدل أولاده الذين هم في ظهره إذا حملهم في بطن أنثى جاء بها من هناك.

إي والله يا أخي، هذه حال أكثر من رأينا وعرفنا، إلا من عصم ربك، يذهبون أبناءنا وإخواننا وأحباءنا، ويعودون عداة لنا، دعاة لعدونا، جندا لحرينا، وعونا لمستعمري بلادنا، لا أعني الاستعمار العسكري، فهو هين لّين، ثم إننا قد شفينا منه بحمد الله أو كدنا، وإنما أعني استعمار الرؤوس بالعلم الزائف، والقلوب بالفن الداعر، والألسنة باللغة الأخرى، وما يتبع ذلك من الأرتيستات والسينمات، وتلك الطامات من المخدرات والخمور وهاتيك الشرور...

فما لبعض الآباء يلقون بأولادهم في هذا النهر الملوث وهم لا يحسنون السباحة؟ ما لهم يبعثون بشاب أمضى عمره كله في بلد الدين

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ص (١٠٠ - ١٠٢).

والحجاب، ما رأى يوماً أطراف جسد امرأة غريبة عنه، ولا خلا بها، شاب بين جنبيه من الرغبة جمرة تتلظى، لو أبصر فتاة من بعد عشرة أمتار لهفا قلبه إليها، وتمنى الدنو منها، ودفع ربع عمره ليبصر ما تحت ثوبها، يرمون به إلى بلاد: بعض النساء فيها سلعة رخيصة على جوانب الشوارع، وربما تعرضن له إن لم يتعرض لهن؟ إلى بلاد: المنكرات فيها معلنة، والأعراض مستباحة. فإما أن يميله الهوى ويقوده الشيطان فيقع في الحرام، وإما أن يضم جوانحه على مثل لذع النار.

فاتقوا الله يا أيها الآباء. اتقوا الله في الشباب يا من تبعثون بهم إلى تلکم الديار^(١).

- ويُن الشيخ محمد بن عثيمين (من علماء السعودية) (ت: ١٤٢١هـ)، أنواع الإقامة في بلاد الكفر، فقال: "أن يقيم للدراسة وهي من جنس ما قبلها إقامة لحاجة لكنها أخطر منها وأشد فتكا بدين المقيم وأخلاقه، فإن الطالب يشعر بدنو مرتبته وعلو مرتبة معلميه، فيحصل من ذلك تعظيمهم والاعتناء بأرائهم وأفكارهم وسلوكهم فيقلدهم إلا من شاء الله عصمته وهم قليل، ثم إن الطالب يشعر بحاجته إلى معلمه فيؤدي ذلك إلى التودد إليه ومداهنته فيما هو عليه من الانحراف والضلال... ومن أجل خطر هذا القسم وجب التحفظ فيه أكثر مما قبله فيشترط فيه شروط:

الشرط الأول: أن يكون الطالب على مستوى كبير من النضوج العقلي الذي يميز به بين النافع والضار وينظر به إلى المستقبل البعيد، فأما بعث الأحداث (صغار السن) وذوي العقول الصغيرة فهو خطر عظيم على

(١) ذكريات علي الطنطاوي، (٤/٩٠ - ٩٣).

دينهم، وخلقهم، وسلوكهم، ثم هو خطر على أمتهم التي سيرجعون إليها وينفثون فيها من السموم التي نهلوها من أولئك الكفار كما شهد ويشهد به الواقع، فإن كثيرا من أولئك المبعوثين رجعوا بغير ما ذهبوا به، رجعوا منحرفين في ديانتهم وأخلاقهم وسلوكهم وحصل عليهم وعلى مجتمعهم من الضرر في هذه الأمور ما هو معلوم مشاهد، وما مثل بعث هؤلاء إلا كمثل تقديم النعاج للكلاب الضارية.

الشرط الثاني: أن يكون عند الطالب من علم الشريعة ما يتمكن به من التمييز بين الحق والباطل، ومقارعة الباطل بالحق لئلا ينخدع بما هم عليه من الباطل فيظنه حقا، أو يلتبس عليه أو يعجز عن دفعه فيبقى حيران أو يتبع الباطل.

الشرط الثالث: أن يكون عند الطالب دين يحميه ويتحصن به من الكفر والفسوق، فضعيف الدين لا يسلم مع الإقامة هناك إلا أن يشاء الله، وذلك لقوة المهاجم وضعف المقاوم، فأسباب الكفر والفسوق هناك قوية وكثيرة ومتنوعة فإذا صادفت محلا ضعيف المقاومة عملت عملها.

الشرط الرابع: أن تدعو الحاجة إلى العلم الذي أقام من أجله بأن يكون في تعلمه مصلحة للمسلمين ولا يوجد له نظير في المدارس في بلادهم، فإن كان من فضول العلم الذي لا مصلحة فيه للمسلمين أو كان في البلاد الإسلامية من المدارس نظيره لم يجز أن يقيم في بلاد الكفر من أجله لما في الإقامة من الخطر على الدين والأخلاق، وإضاعة الأموال الكثيرة بدون فائدة^(١).

(١) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن عثيمين، (٣٠/٢٨/٣).

- وقال الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد (من علماء السعودية) (ت: ١٤٢٩): "ومن ألام هذه المسالك - يعني الغزو الفكري - ما يعود به عدد من المبتعثين من شباب هذه الأمة إلى ديار الكفر، إذ يعودون وهم يحملون تحلاً عقدياً رهيباً، منضوين تحت لواء حزبي مارق، وفي لحظات يمسون بأعمال قيادية، عن طريقها ينفذون مخططاتهم، ويدعو بعضهم بعضاً، فيتداعون على صالحى الأمة وعلى صالح أعمالها، وهذا أضرداء استشرى في هذه الجزيرة، فهل من متيقظ؟! وهل من مستبصر؟!"^(١).

- وأصدر الشيخ عبدالمحسن بن حمد العباد (من علماء السعودية) بياناً بعنوان: (خطورة التوسع في الابتعاث على بلاد الحرمين) جاء فيه: "وإن مما يؤسف له الاتجاه في الآونة الأخيرة إلى التوسع في ابتعاث الطلاب للدراسة في بلاد الغرب وغيرها، فيزداد بذلك الطين بلة والخرق اتساعاً، وتزداد بذلك أعداد المستغربين الذين تتلوث أفكارهم بما يلقى عليهم في الغرب من شبهات، وتفسد أخلاقهم بما هو مبذول عندهم من شهوات، فيرجعون بعقول غير العقول التي ذهبوا بها وأخلاق غير الأخلاق التي ذهبوا بها، ويزهدون فيما في بلادهم من أخلاق كريمة وفطر مستقيمة وتقيد بالأحكام الشرعية التي أتى بها سيد البرية صلى الله عليه وسلم".

- ووجه الشيخ صالح بن فوزان الفوزان (عضو هيئة كبار العلماء في السعودية) نصيحة لمن يرسلون أبناءهم للخارج، فقال: "نصيحتي لهؤلاء الآباء أن يتقوا الله في أبنائهم، فإنهم أمانة في أعناقهم يسألون عنها

(١) خصائص الجزيرة العربية، ص (٨٥).

يوم القيامة، فلا يجوز لهم المغامرة بهؤلاء الأبناء بإرسالهم إلى بلاد الكفر والفساد خشية الانحراف..."^(١).

- وقال الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي (الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي): "لقد اعتمد الأعداء سلاح التغريب بواسطة المدرسة والكتاب والجامعة والصحف والمجلات والتلفاز والابتعاث للدراسة العلمية في بلادهم"^(٢).

- وقال الدكتور عبدالله بن علي الركبان (عضو هيئة كبار العلماء في السعودية): "رسالتي للمسئولين وعلى رأسهم الملك أن نتقي الله ونوقف هذا التوسع - في الابتعاث - ونضع الضوابط الدقيقة للابتعاث، ويكون في التخصصات النادرة، وللناضجين فكريا، وعلى الجامعات توفير التخصصات النادرة في الداخل، وأما المرأة فلا أرى ابتعاثها ويقاؤها خير بألف مرة"^(٣).

- واعتبر الأستاذ محمد قطب (من دعاة مصر) أن الابتعاث استتبات للخواجات في أرض الإسلام فقال: "صحيح أن الخواجات قد قاموا بالواجب على النحو المطلوب... ولكن فرق بين أن تظل في بلدك وإن صاغك الخواجات متأثرا ببعض تقاليدها، وأفكارها، وعقائدها... وبين أن تستنبت من جديد في أرض الخواجات أنفسهم، فتصبح كأنك خاجة بالفعل، بدلا من أن تكون مصريا متأثرا بالخواجات فحسب، بل إنك قد

(١) المتقى من فتاوى فضيلة الشيخ صالح الفوزان، (٢/٢٥٤).

(٢) مقدمة كتاب التغريب في التعليم، (ص ٨).

(٣) من برنامج الجواب الكافي على قناة المجد الفضائية بتاريخ (٢٥/٢/١٤٣٠هـ).

تعود ملكيا أكثر من الملك، فتقوم بالدور المطلوب بأعنف مما كان
الحواجات أنفسهم يفعلون!!

فإذا عاد أولئك المبتعثون وقد صاروا خلقا آخر، ممسوخا كل المسخ،
لا يعرف دينه ولا لغته ولا قومه، وينظر إلى ذلك كله بازدراء شامل...
فهناك يوضعون في مراكز التوجيه، ليكون أثرهم في الإفساد أشمل
وأوسع...^(١).

- وكشف الدكتور عبدالستار فتح الله سعيد (من دعاة مصر)
عن أثر الابتعاث في التدمير، فقال: "وفي مجال التعليم أيضا كانت
البعثات تتقاطر على الدول الأوروبية من أبناء المسلمين استكمالا
لتعليمهم العالي وما ماثله، وكانت هذه هي نهاية المطاف في الإجهاز
على بقايا الإسلام، وطباع الشرق وعاداته في نفوسهم، حيث لا
يرجعون إلا وقد تأثروا بوجهة الغرب وفلسفته، أو أخذوا طريق العيش
الأوربي على حد تعبير المؤرخ (توينبي) وبذلك أصبحوا رصيذا في
حساب أعداء الإسلام بالسلوك والتربية والعادات الجديدة، وهؤلاء
وأمثالهم هم الذين كتب على أمتنا أن يقودوا حركتها في شتى المجالات،
حتى أحلوها دار البوار وبدلوا وجهتها في الحياة، وكانوا هم الجنود
المجندة في يد أعداء الإسلام لإحداث هذا الانقلاب الجذري في حياة
المسلمين من حيث علموا أو جهلوا، ومن حيث أرادوا أو انساقوا مع
التيار بلا فهم ولا وعي"^(٢).

(١) واقعنا المعاصر، محمد قطب، ص(٢١٧).

(٢) الغزو الفكري، ص(٧٣ - ٧٤).

- وتحدث الدكتور يوسف القرضاوي (من دعاة مصر) عن آثار الابتعاث، فقال: "ولا غرو إذا رأينا هؤلاء المبعوثين إلى الغرب، يذهبون إليه شرقيين مسلمين ويعودون - إلا من عصم الله - متغربين علمانيين لا دينيين لم يغيروا أسماءهم ولا دينهم الرسمي، ولكنهم غيروا أفكارهم وقيمهم، ونظرتهم إلى الدين وإلى الحياة وإلى الناس، وإلى الماضي وإلى الحاضر، وإلى النظم وإلى الشرائع وإلى الآداب وإلى التقاليد، وبدا ذلك واضحا في سلوكهم وأخلاقهم وعلاقاتهم، وفيما يكتبون وينتجون في ميدان الفكر والثقافة والتوجيه"^(١).

- وأوضح الدكتور ناصر بن عبدالكريم العقل (من دعاة السعودية) أن من أسباب تقليد المسلمين لغيرهم ووقوعهم في التبعية لهم، "إرسال المبتعثين من أبناء المسلمين إلى دول الغرب للدراسة هناك بشتى أنواع الدراسة ليأتوا في الغالب محملين بالسموم الغربية ويتولوا حركة التغريب في بلدانهم، وقد سلكت الدول الغربية أسلوبا عجيبا مع هؤلاء المبتعثين فالذين ينبغون منهم ويبرزون في تخصصاتهم فإما أن تغريهم بشتى المغريات لتستفيد منهم ويسيروا في الغرب فإن وجدت عند أحدهم إخلاصا لبلاده ويمكن أن يكون له دور قوي في نهضتها فإن مصيره الاغتيال، وإذا قدرت له السلامة فلا بد أن تعمل على عرقلة جهوده في بلده أو التضيق عليه حتى يفر من بلده..."^(٢).

- ويبيّن الدكتور علي جريشة (من دعاة مصر) أن من سبل الغزو

(١) الحلول المستوردة، يوسف القرضاوي، (١٩/١).

(٢) التقليد والتبعية، ناصر العقل، ص (١٠٤).

الفكري "الابتعاث إلى الخارج إلى الدول غير الإسلامية، وحقق ذلك الابتعاث نتائج الباهرة المقصودة، فهو أولا يزيد طالب التعليم العام جهالة بدينه وقيمه ومثله ويزيده تعلقا بقيم الغرب أو الشرق ومثله، وهو من ناحية أخرى يبدأ بتطبيع بطباع غير إسلامية ثم يصير التطبع مع الزمن طبعا، وينسلخ الطالب من حيث لا يشعر حتى من تقاليده في الملبس والمأكل والمشرب وطريقة التعامل ويغدو غربيا أو شرقيا ربما أكثر من الغربي أو الشرقي.

والابتعاث جزء من مخطط رهيب أثيم لهدم قيم الإسلام ومثله، ولا يزال رغم ما خرج من أساتذة يقومون بنفس الدور لا يزال دوره وبخاصة في البلاد التي تسمى نامية والتي يخشى أن تتجه بصدق إلى الإسلام، لا يزال الابتعاث يولي أهمية كبيرة لهذه البلاد باعتبارها بكرا، ويصل الاهتمام إلى حد نزول الابتعاث من مرحلة ما بعد الجامعة إلى مرحلة ما بعد الثانوية العامة حيث سن المراهقة الخطير ينتقل فيه الشاب من المجتمع المغلق إلى المجتمع المفتوح والمفتوح جدا فتقلب موازين عقله بعد موازين قلبه..."^(١).

- وأوضح الدكتور إسماعيل علي محمد (من دعاة مصر):
"حرص الخصوم على أن يصطادوا أبناء المسلمين الموفدين من قبل بلادهم لتلقي العلم في أوربا وغيرها، فحاصروهم، وعملوا على زرع أفكار معادية للإسلام في عقولهم، وللأسف فإن منهم من نجح الخصوم في غسل دماغه وإفساد تفكيره حتى عادوا بغير القلب الذي ذهبوا به، أو بوجوه

(١) أساليب الغزو الفكري، علي جريشة، ص (٦٤ - ٦٦).

مسلمة عربية، وقلوب غربية جاحدة.

وهناك عشرات الأمثلة المشهورة والخفية لعملية الانتقاء، الاعداد، التجهيز، والابتعاث، الإشراف، العودة، التصعيد، المؤازرة، الدعم.. إلخ، عشرات الأمثلة توضح دور أجهزة الغزو: تبشيرا واستعمارا ومخبرات، ومراكز ثقافية أجنبية في العمليات السابقة بحيث يعود بعد خمس سنوات جيل موجه، مشبع، ملقن، ثم تفتح له الأبواب، وتذل له الصعاب، وتقدم له التسهيلات، وتمهد له الطرق، وتزال من أمامه العقبات، وفي النهاية يرقى هذا الجيل سلم النفوذ وموقع القيادة^(١).

- وبين الأستاذ محمد شاكر الشريف (من دعاة مصر) أن من وسائل العلمانية في تحريف الدين في نفوس المسلمين وتزييفه: "القيام بتربية بعض الناس في محاضن العلمانية في البلاد الغربية، وإعطائهم ألقابا علمية مثل درجة (الدكتوراه) أو درجة (الأستاذية) ثم رجوعهم بعد ذلك ليكونوا أساتذة في الجامعات، ليمارسوا تحريف الدين وتزييفه في نفوس الطبقة المثقفة على أوسع نطاق، وإذا علمنا أن الطبقة المثقفة من خريجي الجامعات والمعاهد العلمية، هم في الغالبية الذين بيدهم أزمة الأمور في بلادهم، علمنا مدى الفساد الذي يحدث من جراء وجود هؤلاء العلمانيين في المعاهد العلمية والجامعات"^(٢).

- وأوضحت الدكتورة نادية شريف العمري (من داعيات السعودية) أن من مجالات نشر العلمانية في المجتمعات الإسلامية: "إرسال

(١) الغزو الفكري، إسماعيل علي، ص (١١٧).

(٢) العلمانية وثمارها الخبيثة، محمد الشريف، (ص ٣٠).

البعثات من أبناء المسلمين إلى البلاد الأجنبية لمتابعة الدراسة قبل أن ينهلوا من الثقافة الإسلامية شيئاً وقبل أن يقوى وازع الإيمان في قلوبهم وقبل أن تنمو شخصيتهم الإسلامية، هؤلاء الشباب يرسلون خاوية عقولهم من العلوم الإسلامية، فارغة قلوبهم من الولاء للمسلمين، غير راسية أقدامهم على المبادئ الدينية، زائغة أبصارهم حائرة آمالهم، هؤلاء يتعلمون في جامعات أوروبا كجامعة السوربون أو جامعة لندن ثم يعودون بعد سنوات لا تقل عن الخمس من زهرة الحياة يعودون وهم يحملون الوباء والأمراض السارية الخبيثة يدعون لفصل الدين عن الدنيا، ينادون بأن تخضع الأنظمة الحياتية لقانون روماني أو فرنساوي وهؤلاء هم الذين يحتلون مناصب القيادة في الأمة ويمسكون زمام المجتمع... رحماك اللهم بالأمة الإسلامية^(١).

- وقال الدكتور عبدالصبور مرزوق (من دعاة مصر): "مرّ زمن طويل ونحن نسلم فلذات أكبادنا إلى أعدائنا كي يصوغهم كما يشاءون عن طريق إيفادهم إلى الخارج في مرحلة الشباب الغض الذي لم تكتمل حصانته الفكرية والخلقية... والخطر في هذه الحالة أنها تنقل الاستعمار من الأرض إلى العقول والقلوب، ومعروف أن الاستعمار بالجيش أخف وطأة من الغزو الثقافي، لأن الأول إليه ينظر دائماً كعدو، أما استعمار العقول والقلوب، فالكارثة فيه أن ضحاياه لا يظنون أنهم مستعمرون، بل على العكس يفخرون بما بلغوه من ثقافة، ويدافعون بحماس عن فكرهم الذي هو في الحقيقة فكر الغزاة، ويأخذون في التمكين له من

(١) أضواء على الثقافة الإسلامية، نادية العمري، ص(٢٤٢).

حيث لا يشعرون" (١).

- ويبيّن الدكتور عبد الرحمن حسن الميداني (من دعاة سورية) بأن من أساليب الأعداء في تحقيق الغزو الفكري للمسلمين: "استدراج فريق من أبناء المسلمين لجامعاتهم، لمنحهم الشهادات العليا في علوم الشريعة الإسلامية، وعلوم اللغة العربية، والعلوم الإنسانية، ومحاولة التأثير فيهم وتشويه صورة الإسلام والتاريخ الإسلامي، والعلوم الإسلامية في أفكارهم وفي نفوسهم، ليكونوا جنوداً مقنعين لهم، يحققون أغراضهم داخل شعوبهم المسلمة" (٢).

- وعدّد الشيخ محمد لطفي الصباغ (من دعاة سورية) آثار الابتعاث، فقال: "ومن أخطر الآثار الانحراف العقدي والانهيار الخلقي، اللذان يصاب بهما كثير من أبناءنا الطلبة، ذلك لأن عوامل الإفساد والإغراء، والتشكيك والإغواء التي يتعرضون لها قد تغلب على عناصر المقاومة التي تكون لدى بعضهم، فالانطلاق من جو مجتمع مغلق إلى جو مجتمع مفتوح يحدث هزة عنيفة لا يمكن أن تتجاهل" (٣).

- ويوضح الأستاذ (عبدالله التل) (من دعاة الأردن) استغلال المستشرقين للبعثات العلمية "في تخريج أعداد كبيرة من العرب المسلمين الذين أخذوا عنهم العلم، وحملوا الشهادات الجامعية العليا، ثم عادوا إلى أوطانهم صورا شائنة عن المستشرقين، إلا أنهم أكثر خطورة منهم، ذلك

(١) الغز الفكري، عبدالصبور مرزوق، ص (١١٠).

(٢) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص (٥٠٨).

(٣) الابتعاث، محمد لطفي الصباغ، ص (٢٥).

أن المستشرق مكشوف ليس من السهل أن يوزع بضاعته بأمان واطمئنان، في حين أن العربي المسلم من تلاميذ المستشرقين قادر على خداع بني قومه، وبالتالي ينشر سمومه وأفكاره وبضاعته دون رقابة صادقة واعية...^(١).

- وقال الدكتور محمد عبد العليم مرسى (من دعاة مصر): "إذا كانت الصليبية القديمة قد فشلت في مواجهة أبطال المسلمين في معارك الوغى وساحات الجهاد، فإنهم قد فتحو أبواب دولهم على مصاريحها يدعون إليها الشباب من جامعاتنا ليتعلموا هناك فيذهبون ليضيع جزء منهم في مجتمعاتهم الفاسدة، وليعود إلى قومه ممسوخاً ناسياً دينه وربّه وقومه، وجاءهم بأخطر ما يجيء به الصليبي الواضح، حيث يطالب بالحرية والانفتاح على الغرب بكل ما فيه من حرية وإباحية وانحراف"^(٢).

- وقال الدكتور محمد بن سعيد القحطاني (من دعاة السعودية) متحدثاً عن أساليب الغزو الفكري: "وأما الابتعاث إلى الخارج أي إلى الدول الكافرة فقد حقق هذا نتائج ترضي من خطط لها، ذلك أن هذا الابتعاث - في الغالبية العظمى منه - يكسر صفة التميز بين المسلم والكافر، ويجعل ولاء المسلم متذبذباً وهو يرى ما بُهر به، ثم إنه يزيد الطالب جهالة بدينه وقيمه ومثله، ويزيده تعلقاً بالغرب أو الشرق ويبدأ بتطبيع بطابع غير إسلامي، ثم يصير هذا التطبيع مع الزمن طبعاً، ثم انسلاخاً من حيث يشعر الطالب أو لا يشعر فتجده في لبسه ومأكله ومشربه وكلامه وطريقة تعامله،

(١) جذور البلاء، عبدالله التل، ص (٢٢٠).

(٢) التغريب في التعليم، ص (١٧).

غربياً أو شرقياً بل ربما أكثر من ذلك" (١).

فهذه شذرة من أقوال علماء الإسلام، ودعائه المخلصين لدينهم، الغيورين على بلادهم، أقاموا فيها الحجة، وأبانوا الطريق والمحنة، حذروا فيها من الابتعاث، وبيّنوا خطورته، ويمكن تلخيص ما جاء فيها على النحو الآتي:

- يجب على الساسة والمسؤولين في العالم الإسلامي النهوض بالأمة علمياً وتوفير السبل والوسائل لتحقيق ذلك حتى تكون لها الصدارة والريادة من غير حاجة لغيرها.

- لا يجوز الابتعاث إلا في حدود المصلحة والحاجة وفي العلوم النادرة التي لا توجد في بلاد الإسلام مع وجوب توفر الحصانة الدينية والأخلاقية عند المبتعثين.

- يمنع ابتعاث المرأة لما يحف به من المخاطر العظيمة التي لا يمكن تجاهلها أو التهورين من شأنها.

- يعتبر الابتعاث نافذة واسعة من نوافذ الانحراف الفكري والأخلاقي والاجتماعي وله تبعاته الأمنية والسياسية.

- يعود بعض المبتعثين لبلادهم وهم أشد حماسة من الغرب في نشر الثقافة الغربية والترويج لها والدعوة إليها في المجتمعات الإسلامية.

هذا... وقد سبق أن صدر قرار من مجلس هيئة كبار العلماء برقم (٨٨) وتاريخ (١١/١١/١٤٠١هـ) بشأن الابتعاث وخطورته وضوابطه.

وقد تضمن القرار في بدايته عرض بعض ما استهدفت به الأمة الإسلامية عامة من بث للمذاهب الهدامة والمبادئ الأخلاقية المنحرفة وما قصدت به شبيبة الدولة السعودية خاصة وما أريد لها من انحراف في الأخلاق والعقيدة لما لهذه الدولة وشعبها من مكانة عالية في نفوس الشعوب الإسلامية، ولما هي عليه من التمسك بعقيدة الإسلام الصافية والتخلق بآدابه النبيلة، واستعرض المجلس أيضا وسائل أعداء الإسلام في إفساد الشبيبة واستمع إلى شرح كثير من الوقائع، وعرض ما سبق أن أبداه في مجال إصلاح وسائل الإبقاء على كيان الأمة وحماية شبابها من التفسخ والانحلال والانحراف الفكري.

ونظرا لأن أعظم أسباب انحراف الشباب في مسالك الرذيلة والوقوع في شرك أعداء الإسلام والتنكر لما عليه الأمة في عقيدتها وأخلاقها وعاداتها والانقلاب على أوضاعها الإسلامية ومعاداة سلطاتها والنظر إليها بازدراء والوقوف موقف العداء إرسالهم في حال طراوتهم وخلوا أنفسهم من الحصانة الدينية... ولقد ذُكرَ للمجلس إضافة إلى ما سبق له معرفته حوادث أليمة وقضايا مزعجة سببها خروج الشباب المتوقد حيوية وفتوة وقوة من جو محتشم محافظ إلى جو مملوء بالإغراء مشبع بالانحلال يتصيد مجتمعه شباب المسلمين عن قصد وتعمد فيدفعهم إلى إشباع رغباتهم الجنسية دفعا عنيفا، ويسلط عليهم أنواعا من الإغراء ويحاول تشكيكهم بدينهم وتضخيم عيوب السياسة في أوطانهم، فإن وجدهم بوضع من التأهيل العلمي الشرعي بحيث يتعسر عليه انحلالهم وتشكيكهم في دينهم التمس إبراز عيوب حكوماتهم وابتعادها عن أحكام الإسلام إلا من شاء الله واختلاق عيوب غير موجودة ليتوجهوا إلى التطرف والإفراط فيخرجوا

بأنفسهم عن العمل الإصلاحى إلى عمل تفريق الأمة وزعزعة كيانها وتفريق صفها والعمل على قلب أنظمة الحكم فيها.

ونظرا لأن ولاية الأمر هم الأمناء على الأمة وعليهم مسئولية الأخذ بأيدي الناس إلى الوجهة السليمة وإصلاح ما يروونه خطرا على أمن البلاد ودينها، ولأن الشباب ركيزة الأمة ورجال غدها وحرّاس كيانها، ولأن كثيرا ممن يخرجون للدراسة في بلاد الغرب يفجأون بمحضرة صاحبة ومفاتيح منتشرة وفتن متعددة فتن الجنس والشراب والتشكيك وقل أن يعود الطالب إلا وفي نفسه شيء من تأثر بما رأى وسمع ومارس. فيكون هذا الطالب قد جلب على وطنه وأمه شرا وجر عليهم بلاء وصار داعية سوء ومعول هدم للأخلاق والقيم؛ ولأن ولي الأمر عليه أن يدل رعيته على خير ما يعلمه لهم وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم ولأن النساء بخروجهن إلى الغرب يرين ما عليه النساء هناك من التهلكة والعري والعلاقات بالرجال الأجانب ولو كن ذوات أزواج مع ما يحصل من اختلاط في الدراسة، أما اللاتي لم يتزوجن وإنما ذهبن للدراسة فالعلاقة بين الطالب والطالبة هناك أمر غير مستنكر ولا مستغرب، وقد حدثت أمور لا يرضى الله عنها ولا رسوله، وإذا كان سفر المرأة بدون محرم محرما ومعصية لله ولو كان لحج بيت الله الحرام فكيف بسفر يفضي إلى اختلاط وخلوات وشُرور لا نهاية لها.

ولذا فإن مجلس هيئة كبار العلماء يرى أن من النصيح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم بأن يتخذ ولاية الأمر وفقهم الله لإرضاء الله وحماية عباده من الفساد وحماية هذه الأمة من التفكك ما يلي:

١ - منع ابتعاث البنات للخارج منعاً باتاً لا استثناء فيه... ويتعين عدم

السماح لأي إنسان أن يبعث بنته أو من له ولاية عليها للدراسة في الخارج سواء في البلاد المجاورة أو بلاد الغرب ولو على حسابه الخاص.

٢- عدم إرسال أي طالب للدراسة في الخارج من المدنيين والعسكريين على حساب الدولة أو على الحساب الخاص إلا بعد المرحلة الجامعية وبعد الزواج والخدمة مدة من الزمن حتى يصلب عوده وترسخ عقيدته.

٣- عدم إرسال أي شخص في أعمال نظرية كالإدارة واللغات والاقتصاد ونحوها، أما في علوم الإسلام وتاريخه فيجب منعه في كل مرحلة وأن يعاقب من أرسل أولاده للدراسة وأن لا تعتبر شهادته في البلاد.

٤- يجب إجراء تحريات كاملة عن كل شخص يراد ابتعائه للتخصص ليعرف مدى حفاظه على دينه وأخلاقه وإعطائه دورة يدرس فيها أحوال تلك البلاد التي سوف يذهب إليها.

٥- أن يقتصر في التخصصات ما لا يمكن حصوله في البلاد كعلوم بعض الصناعات التي لا يوجد لها نظير في بلادنا.

٦- أن يجلب كل من لا تتوافر فيه الشروط السابقة ويعاد لإكمال دراسته في الداخل سواء من كان على حساب نفسه وذويه أو على حساب الحكومة أو إحدى المؤسسات.

٧- يوكل إلى جهة حق الرقابة على مخالفة ما تقدم، وإذا تم ذلك على الوجه المطلوب حصل به إن شاء الله الخير العظيم للأمة في دينها ودنياها والسلامة في عقيدتها وأخلاقها.

فهذا مجمل قرار هيئة كبار العلماء سقته لك مختصراً، وقد أوردته كاملاً بنصه في ملحق في آخر هذا الكتاب.



الفصل الرابع

ضوابط الابتعاث عند الاحتياج إليه

إذا دعت الحاجة إلى دراسة بعض المسلمين في بلاد الكفار فإن الواجب الشرعي أن تكون هذه الدراسة وفق نظام محوط بالضوابط الشرعية المستندة على نصوص الكتاب والسنة وقواعدهما العامة، وقد درس مجلس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية هذه النازلة ووضع لها الأطر والضوابط الشرعية، ولأن هذه الدراسة والنتائج صدرت بقرار مجمع عليه فأني أذكر الضوابط التي نصَّ عليها قرار المجلس وأكتفي بها، وهي:

١ - منع ابتعاث البنات للخارج منعا باتا لا استثناء فيه ومن كانت متجاوزة مرحلة الدراسة العالية وفي تخصصها مصلحة محققة للأمة فإن على

الدولة وفقها الله تهيئة الوسائل اللازمة لذلك في داخل المملكة وقد منحها الله سبحانه إمكانات مادية يسهل معها بإذن الله كل صعب ؛ لأن سفر المرأة للدراسة في الغالب تربو مفسده على مصالحه ودفع المفسد مقدم على جلب المصالح ويتعين عدم السماح لأي إنسان أن يبعث بنته أو من له عليها ولاية للدراسة في الخارج سواء في البلاد المجاورة أو بلاد الغرب ولو على حسابه الخاص ؛ لأن الأخذ على يد مثل هؤلاء فيه نجاة الجميع كما في حديث : لمثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة... الحديث.

٢- عدم إرسال أي طالب للدراسة في الخارج من المدنيين والعسكريين على حساب الدولة أو على الحساب الخاص إلا بعد مرحلة الجامعة وبعد الزواج والخدمة مدة من الزمن حتى يصلب عوده وترسخ عقيدته ويعرف عقيدة السلف والمذاهب الهدامة والمنحرفة ويعرف زيفها لئلا يسهل صده عن دين الله.

٣- عدم إرسال أي شخص للتخصص في أعمال نظرية كالإدارة واللغات والاقتصاد ونحوها أما في علوم الإسلام وتاريخه فيجب منعه في كل مرحلة وأن يعاقب من أرسل أولاده للدراسة وأن لا يعتبر شهادته في البلاد.

٤- يجب إجراء تحريات كاملة عن كل شخص يراد ابتعاثه للتخصص ليعرف مدى حفاظه على دينه وأخلاقه وثباته على ولائه لدولته وإعطائه دورة يدرس فيها أحوال تلك البلاد التي سوف يذهب إليها.

٥- أن يقتصر في التخصصات على ما لا يمكن حصوله في البلاد

كعلوم بعض الصناعات التي لا يوجد لها نظير في بلادنا كعلوم الذرة، ومتى أمكن جلبها إلى البلاد وجب ذلك حتى يستغنى عن الابتعاث.

٦- عدم تمكين أي جهة حكومية عسكرية كانت أو مدنية وأية مؤسسة حكومية أو تجارية بابتعاث منسوبيها سواء لدورات دراسية أو لدراسة نظامية لنيل شهادة إلا عن طريق جهة الاختصاص في التعليم بعد توافر الشروط للتخصص وصفة المبتعث وسنه وأن يكون حسن السيرة معروفا بالعقل الراجح.

٧- أن يجلب كل من لا تتوفر فيه الشروط السابقة ويعاد لإكمال دراسته في الداخل سواء من كان على حساب نفسه وذويه أو على حساب الحكومة أو إحدى المؤسسات.

٨- يوكل إلى جهة حق الرقابة على مخالفة ما تقدم وجعل مخبرين في السفارات والملحقيات التعليمية لترفع تقاريراتها عن كل مخالفة. وقد أوردت قرار مجلس هيئة كبار العلماء كاملا بنصه في ملحق في آخر الكتاب.



موقف المستغربين من الابتعاث

يجد المستغربون في الابتعاث بغيتهم، وينشدون فيه ضالتهم، فهو الكفيل بتغيير ثقافة المجتمع وأخلاقه وقيمه.

ولذا لا تعجب إن أشادوا به، وأثنوا عليه، واعتبروه فتحا مينا وانتصارا عظيما.

فكاتب يرى أن موجة الابتعاث قادرة على إحداث انقلاب ثقافي بترك القيم القديمة واستبدالها بقيم إنسانية عصرية^(١).

ويعتبر أن للابتعاث فضيلة كبرى، وهي فضيلة الانفتاح على الثقافات والشعوب المختلفة^(٢).

(١) صحيفة الرياض، العدد (١٥٣٥٥) التاريخ (١٤٣١/٧/٢٧هـ) مقال بعنوان: (هل يفعلها شباب وينات السعودية).

(٢) صحيفة الرياض، العدد (١٥١٥٩)، التاريخ (١٤٣١/١/٨هـ)، مقال بعنوان: (لماذا

وآخر يرى أن الابتعاث حالة ثقافية أكثر منها حالة تعليمية، ولذا لا يمكن أن يحقق الابتعاث مكاسبه كاملة إلا إذا انتقل من مجرد تعليم مدرسي إلى تعليم ثقافي^(١).

وتشاركه (كاتبة) فترى أن الابتعاث هو تجربة تبادل ثقافي وحضاري وإرث إنساني ولا يقتصر فقط على التحصيل العلمي^(٢).

ويعتبر (كاتب آخر) أيضاً أن المقصود من الابتعاث إحداث تغييرات اجتماعية جوهرية، فكراً وعلاقة وتنظيماً!! ولذا يعتبر اشتراط المحرم للمبتعثة قراراً مجحفاً وشكلياً، ومقيداً وغير منطقي، بل وغارق في اللامعقولية^(٣).

فالمطلوب من المبتعثين أن يأخذوا بالثقافة الغربية كلها؛ لأنه كما يقول (أحد الكتاب) لا يمكن أن نتقي من الثقافة الغربية ما نريد ونترك ما لا نريد، ولا يمكن أن نحمي ثقافتنا الأضعف من التأثير بالثقافة الأقوى^(٤).

وعلى هذا فما يراه العقلاء والغيورون على دينهم وأبناء أمتهم من

نجح الابتعاث).

(١) صحيفة الرياض، العدد (١٥٣٣٢) التاريخ (١٤٣١/٣/٢٢هـ)، مقال بعنوان: (الابتعاث والتحضر).

(٢) صحيفة الوطن، العدد (٢٣٨٦)، التاريخ (١٤٢٨/٣/٢٤هـ)، مقال بعنوان: (ثقافة الابتعاث والبصمة الثقافية).

(٣) صحيفة الوطن، العدد (٣٤١٣)، التاريخ (١٤٣١/٢/١٨هـ)، مقال بعنوان: (إلغاء شرط المحرم).

(٤) صحيفة الجزيرة، العدد (١٢٥٦٣)، التاريخ (١٤٢٨/٢/٢هـ)، مقال بعنوان: (نحن والغرب).

مخاطر الابتعاث وآثاره لا يراه هؤلاء كذلك، بل يرونه من محاسنه وإيجابياته!!

فها هي (كاتبة) تستنكر إلزام المبتعثة بوجود محرم معها خلال دراستها وتعتبرها نظرة دونية للمرأة^(١).

ويستغرب أحدهم من قصر الابتعاث على تخصصات بعينها ويطالب بالانفتاح على تخصصات العلوم الإنسانية والاجتماعية والفنون الحرة^(٢).

ويسخر أحد الكتاب من مقترح طرحه أحد أعضاء مجلس الشورى متضمنا تشكيل لجنة من أعضاء المجلس للوقوف على سلوكيات وأخلاقيات المبتعثين، وأدرج هذا المقترح ضمن ما أسماه: "ثقافة الشك والريبة" التي يستحيل تطبيقها^(٣).

وحذر (كاتب) مما أسماه أصحاب الرؤى التقليدية من المبتعثين، خاصة فيما يتعلق بالمرأة، من أن يقوموا بأي نشاط دعوي أو توعوي لزملائهم المبتعثين^(٤).

ومما يبين موقف هؤلاء أن إحدى الكاتبات كتبت مقالا هوّنت فيه من

(١) صحيفة الوطن، العدد (٣٤٠٩) التاريخ (١٤/٢/١٤٣١هـ)، مقال بعنوان: (مبتعثة تبحث عن محرم).

(٢) صحيفة الوطن، العدد (٣٤١٣)، التاريخ (١٨/٢/١٤٣١هـ)، مقال بعنوان: (إلغاء شرط المحرم).

(٣) صحيفة الوطن، العدد (٣٤٤٦)، التاريخ (٢١/٣/١٤٣١هـ)، مقال بعنوان: (ثقافة الشك : فرع للهيئة في شيكاغو).

(٤) صحيفة الوطن، العدد (٣١٤٣)، التاريخ (١٣/٥/١٤٣٠هـ)، مقال بعنوان: (طلاب الابتعاث بين الدراسة والدعوة).

شأن خبر يتضمن تنصر ثلاثين مبتعثاً، واعتبرت أن ذلك داخل في قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ البقرة: ٢٥٦. وأن الوصاية على المعتقدات لا تصلح في عصر العولمة!!^(١).

واعتبر (كاتب) أن من يشكك في أهداف الابتعاث للخارج يحمل في أجدنته أهدافاً غير معلنة ومزیداً من الانكفاء على الذات، وفرضاً لرؤية أحادية^(٢).

ويشير (كاتب) إلى أن من ثمار برنامج الابتعاث العظيم: كشف الوجه واليدين للمرأة، والرؤية الجديدة بالنسبة لمسألة الاختلاط!!^(٣).

ويشاركه (كاتب) آخر فيشيد بالموجات الكبيرة للابتعاث ويربط بينها وبين انقشاع أوهام عمل المرأة في المستشفيات وكشف الوجه!!^(٤).

وتطرح صحيفة محلية حول انفتاح المبتعثين على الاختلاط بين الجنسين وتصديهم لعقدة (الذئب والشاء). وتأمل أن تسهم جرعات الانفتاح التي يتلقاها السعوديون في الخارج جراء اندماجهم وتقبلهم للثقافة الغربية في الحث على إحداث مراجعات قد تفض بعض التراكمات

(١) صحيفة الوطن، التاريخ (٢٧/٤/١٤٣١هـ)، مقال بعنوان: (الوصاية في عصر العولمة... حكم الردة أمموجا).

(٢) صحيفة الرياض، العدد (١٣٨٧٢)، التاريخ (٢١/٥/١٤٢٧هـ)، مقال بعنوان: (حكم الابتعاث للخارج).

(٣) صحيفة الشرق الأوسط، العدد (١١٥٤٧)، التاريخ (٢٨/٧/١٤٣١هـ)، مقال بعنوان: (برنامج عظيم).

(٤) صحيفة الرياض، العدد (١٤٨٧١)، التاريخ (١٥/٣/١٤٣٠هـ)، مقال بعنوان: (الفرق بين السعودي والطلاباني).

الحساسية في علاقة الرجل بالمرأة^(١).

وهاجمت (كاتبة) الذين يحذرون من الابتعاث وتعليم الفتيات في جامعات مختلطة، ويجعلون من أنفسهم أوصياء وأمناء على سكون المجتمع، الذين لا ينفكون عن مهاجمة كل حراك جديد يبعث الوطن من سباته، ناهيك عن إصرارهم على أن تبقى عقول الشباب والشابات مغلقة عن أي فكر عدا ما يصبونه فيها من فكر رجعي متشدد!!^(٢).

(١) صحيفة الرياض، العدد (١٤٩١٠)، التاريخ (١٤٣٠/٤/٢٤)، تحقيق بعنوان: (جرات الانفتاح عند المبتعثين تتصدى لعقدة الذئب والشاة داخل القاعات الدراسية).

(٢) صحيفة الرياض، العدد (١٥٣٧٨)، التاريخ (١٤٣١/٨/٢٠)، مقال بعنوان: (أليس أهل مكة أدرى بشعابها).

وبعد عرض نماذج لمقالات المستغربين وموقفهم من الابتعاث، أورد القراءة التحليلية لها :

- يرى المستغربون الابتعاث مقصدا في حد ذاته ومطلبا وهدفا في نفسه، ينشدون من خلاله تغيير هوية المبتعث وثقافته، وفكره وولاءه لدينه ومجتمعه.

- لا يقر المستغربون بأي مخاطر للابتعاث، ويتجاهلون تارة، ويهونون من شأنها تارة أخرى، ومن يحذر من الابتعاث ويدعو إلى ضبطه وترشيده، فهو من وجهة نظرهم متشدد يقف في وجه الانفتاح الفكري والتقدم الحضاري، يريد أن يعيد الأمة إلى عصور الظلام.

- يلحظ المتابع لمقالات المستغربين أن الابتعاث عندهم يقف عند الانفلات من الأحكام الشرعية كخلع الحجاب والاختلاط بين الجنسين... إلخ فهذه هي الحكمة العظمى والهدف الأكبر.

ومن هنا تعرف أيها القارئ عقول القوم وفكرهم، ودناءة همتهم، وسفول أهدافهم، فهم لم يدركوا من الحضارة الغربية إلا العري والانحلال!! ولم يروا فيها إلا التفسخ والفساد!! فبئست الأهداف وشاهت الوجوه .

- يعتبر المستغربون التبرج والسفور والاختلاط بين الجنسين علامة التقدم ودلالة التحضر، فلن يتقدم المجتمع إلا بانحلال أفراد، ولن يتحضر إلا بسفور نسائه، حتى ولو حاز أبنائهم الدرجات العلمية من الجامعات العالمية.

ولذا فهم في مقالاتهم يأسفون على جيل المبتعثين المتدين ويعتبرونه

لم يحقق شيئا يذكر.

إذن: المهم عندهم أن تعود من بعثتك غربا لتنقل المفاهيم الغربية إلى بلدك حتى ولو كنت عريدا أو منحلا، والمبتعثة الناجحة هي: السفيرة المتبرجة المختلطة بالرجال، والمبتعث الناجح هو: الذي تشبع بالثقافة الغربية وأخذ بها.

ولذا فلو جاءت الأمور على خلاف ما يظنون، وكانت معارضة لما يحسبون، فحافظت المبتعثات على حجابهن، وتمسك المبتعثون بدينهم، لتداعى عجائز الليبرالية وغلمانها وحذروا المجتمع من الابتعاث باعتباره أحد نوافذ التشدد والتخلف!!

ولا بد من القول هنا أن هناك شخصيات وأقلاماً غيورة دعت إلى ضبط الابتعاث وترشيد البعثات لأسباب أخلاقية واقتصادية وتعليمية... فهذا مقال للدكتور: محمد الأحمد بعنوان: (الابتعاث نعم للدراسات العليا لا للجامعية) يدعو فيه إلى أن يكون الابتعاث مقصورا على طلبة الدراسات العليا^(١).

ومقال للدكتور: سعيد بن علي العضاضي بعنوان: (إلى مسئول التعليم العالي.. أعيدي أبناءنا المراهقين قبل فوات الأوان). يدعو فيه بحرقه وألم، وأسف وأسى إلى أن تعيد وزارة التعليم العالم المبتعثين من المراهقين وصغار السن وأن يكون الأمر مقصورا على طلاب الدراسات العليا^(٢).

(١) صحيفة اليوم، العدد (١٢٠٧٨)، التاريخ (١٤/٦/١٤٢٧هـ)، مقال بعنوان: (الابتعاث نعم للدراسات العليا لا للجامعية).

(٢) صحيفة الاقتصادية الإلكترونية، مقال بعنوان: (إلى مسئول التعليم العالي.. أعيدي

وكتب الدكتور: عبدالعزيز العويشق مقالين، أحدهما بعنوان: (تأهيل الطلبة المبتعثين ومشاكل التحرش)^(١)، والثاني بعنوان: (مشاكل الطلبة المبتعثين والمخدرات والاعتداء الجنسي مرة أخرى)^(٢) نبّه فيهما إلى التجاوزات الأخلاقية التي تصدر من بعض المبتعثين، وتساءل عن إمكانية مراجعة قرار ابتعاث طلبة البكالوريوس.

فهذه نماذج لأقلام وأصوات غيورة لم تنظر إلا بعين المصلحة، ولم يحركها إلا الولاء لبلادها، والإشفاق على أبنائها، بعيدا عن اللوثات الفكرية، والتزلف الممقوت، والنفاق البغيض. فهل نستجيب لصوت العقل، ونصغي للمنطق والحكمة، ونقف عند حدود المصلحة؟؟

أبناءنا المراهقين قبل فوات الأوان).

(١) صحيفة الرياض، العدد (١٤٨٥٤)، التاريخ (١٤٣٠/٢/٢٨هـ)، مقال بعنوان:

(تأهيل الطلبة المبتعثين ومشاكل التحرش).

(٢) صحيفة الرياض، العدد (١٤٩١٧)، التاريخ (١٤٣٠/٥/٢هـ)، مقال بعنوان: (مشاكل

الطلبة المبتعثين والمخدرات والاعتداء الجنسي مرة أخرى).

ملحق (١)

قرار هيئة كبار العلماء رقم (٨٨) وتاريخ ١٤٠١/١١/١١هـ

بشأن الابتعاث

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمد وعلى آله وصحبه، وبعد:

فإن مجلس هيئة كبار العلماء في دورته الثامنة عشرة المنعقدة في مدينة الطائف ابتداء من يوم ٢٩/١٠/١٤٠١هـ إلى نهاية يوم الأربعاء الموافق ١١/١١/١٤٠١هـ استعرض بعض ما استهدفت به الأمة الإسلامية عامة من بث للمذاهب الهدامة والمبادئ الأخلاقية المنحرفة وما قصدت به شبيبة الدولة السعودية خاصة وما أريد لها من انحراف في الأخلاق والعقيدة لما لهذه الدولة وشعبها من مكانة عالية في نفوس الشعوب الإسلامية ولما هي عليه من التمسك بعقيدة الإسلام الصافية والتخلق بأدابه النبيلة؛ ولأن شعب هذه البلاد ركيزة الإسلام فإذا أفسدوا سهل إفساد سواهم وقد استعرض المجلس وسائل أعداء الإسلام في إفساد الشبيبة واستمع إلى شرح كثير من الوقائع واستعاد استعراض بعض ما سبق إن أبداه في مجال إصلاح وسائل الإبقاء على كيان الأمة وحماية شبابها من التفسخ والانحلال والانحراف الفكري.

ونظرا لأن أعظم أسباب انحراف الشباب في مسالك الرذيلة والوقوع في شرك أعداء الإسلام والتنكر لما عليه أمتنا في عقيدتها وأخلاقها وعاداتها

والانقلاب على أوضاعها الإسلامية ومعاداة سلطاتها والنظر إليها بالازدراء والوقوف موقف العداء إرسالهم في حال طراوتهم وخلو أنفسهم من الحصانة الدينية بمبادئ الشريعة وعدم التسلح بالعلم لمواجهة التيارات الفكرية والخلقية المتربصة بهم وإخراجهم من جوهم الإسلامي قبل بلوغهم المرحلة التي يصعب فيها على أعداء الإسلام إغرائهم وتحويلهم إلى أعداء لأمتهم ودينهم وولاة الأمر في بلادهم.

ولقد ذكر للمجلس إضافة إلى ما سبق له معرفته حوادث أليمة وقضايا مزعجة سببها خروج الشباب المتوقد حيوية وفتوة وقوة من جو محتشم محافظ على قيمه وعفته إلى جو مملوء بالإغراء مشبع بالانحلال يتصيد مجتمعه شباب المسلمين عن قصد وتعمد فيدفعهم إلى إشباع رغباتهم الجنسية وإمتاع نفوسهم بشهوات خبيثة دفعا عنيفا ويسلط عليهم أنواعا من الإغراء ويحاول تشكيكهم بدينهم وتضخيم عيوب السياسة في أوطانهم فإن وجدهم بوضع من التأهيل العلمي الشرعي بحيث يتعسر عليه انحلالهم وتشكيكهم التمس إبراز عيوب حكوماتهم وابتعادها عن أحكام الإسلام إلا من شاء الله واختلاق عيوب غير موجودة واستغل حماسة الشباب المتدينين لدينهم ليتوجهوا إلى التطرف فيخرجوا بأنفسهم عن العمل الإصلاحية إلى عمل تفريق الأمة وزعزعة كيائها وتفريق صفها والعمل على قلب أنظمة الحكم فيها ونظرا لأن ولادة الأمر هم الأمانة على الأمة وعليهم مسئولية الأخذ بأيدي الناس إلى الوجهة السليمة وإصلاح ما يرونه خطرا على أمن البلاد ودينها ولأن الشباب هم ركيزة الأمة ورجال غدها وحراس كيائها فجدير أن يحتاط لهم بكل ما يمكن من السعي في دفع

أسباب انحرافهم وجلب ما يصلحهم ومن القواعد الشرعية الهامة أن دفع
المفاسد مقدم على جلب المصالح ولأن كثيراً ممن يخرجون من البلاد
للدراسة في بلاد الغرب يفاجأون بمحضارة صاخبة ومفاتن منتشرة وفتن
متعددة فتن الجنس والشراب والتشكيك وقل أن يعود الطالب إلا وفي
نفسه ما فيها من تأثير بما رأى وسمع ومارس كل على حسب حاله ونظره
للأمور فيعود وقد احتقر أوضاع بلاده وأحب ما عليه أهل تلك البلاد
من انطلاق بلا حدود ولا قيود، ومن تقدم في ميدان العلوم العصرية
بمختلف أنواعها مع غفلتهم عما عليه أولئك من بعد عن الأخلاق
والشيم والعفة والحياء واستمتاع بكافة ما تريده الأنفس المنحلة بلا رقيب
ولا محاسب فيكون هذا الطالب قد جلب على وطنه وأمته شراً وجر
عليهم بلاءاً ودماراً وصار داعية سوء ومعول هدم للأخلاق والقيم؛
ونظراً لأن البلاد بحمد الله قد توافر فيها التعليم في كافة مراحلها ولا تفتقر
إلا إلى بعض التخصصات العلمية العصرية؛ ولأن ولي الأمر عليه أن
يدل رعيته على خير ما يعلمه لهم وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم؛ ولأن
النساء يخرجون إلى الغرب يرين ما عليه النساء هناك من التهلكة والعري
والعلاقات بالرجال الأجانب ولو كن ذوات أزواج مع ما يحصل من
اختلاط في الدراسة لمن رغبت منهن في دراسة عامة أو خاصة، أما
اللاتي لم يتزوجن وإنما ذهبن للدراسة فالعلاقة بين الطالب والطالبة
هناك أمر غير مستنكر ولا مستغرب تزوره ويزورها وقد حدثت أمور لا
يرضى الله عنها ولا رسوله وإذا كان سفر المرأة بدون محرم محرماً ومعصية
لله عز وجل ولو كان لحج بيت الله الحرام فكيف بسفر يفضي إلى

اختلاط وخلوات وشُرور لا نهاية لها.

ولهذا فإن مجلس هيئة كبار العلماء يرى أن النصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم يقضي بأن يتخذ ولاية الأمر وفقهم الله لإرضاء الله سبحانه وحماية عباده من الفساد وحماية هذه الأمة من التفكك ما يلي:

١ - منع ابتعاث البنات للخارج منعاً باتاً لا استثناء فيه ومن كانت متجاوزة مرحلة الدراسة العالية وفي تخصصها مصلحة محققة للأمة فإن على الدولة وفقها الله تهيئة الوسائل اللازمة لذلك في داخل المملكة وقد منحها الله سبحانه إمكانات مادية يسهل معها بإذن الله كل صعب ؛ لأن سفر المرأة للدراسة في الغالب تربو مفاصده على مصالحه ودفع المفاصد مقدم على جلب المصالح ويتعين عدم السماح لأي إنسان أن يبعث بنته أو من له عليها ولاية للدراسة في الخارج سواء في البلاد المجاورة أو بلاد الغرب ولو على حسابه الخاص ؛ لأن الأخذ على يد مثل هؤلاء فيه نجاة الجميع كما في حديث : [مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة...] الحديث.

٢ - عدم إرسال أي طالب للدراسة في الخارج من المدنيين والعسكريين على حساب الدولة أو على الحساب الخاص إلا بعد مرحلة الجامعة وبعد الزواج والخدمة مدة من الزمن حتى يصلب عوده وترسخ عقيدته ويعرف عقيدة السلف والمذاهب الهدامة والمنحرفة ويعرف زيفها لئلا يسهل صده عن دين الله.

٣ - عدم إرسال أي شخص للتخصص في أعمال نظرية كالإدارة واللغات والاقتصاد ونحوها أما في علوم الإسلام وتاريخه فيجب منعه

في كل مرحلة وأن يعاقب من أرسل أولاده للدراسة وأن لا يعتبر شهادته في البلاد.

٤- يجب إجراء تحريات كاملة عن كل شخص يراد ابتعائه للتخصص ليعرف مدى حفاظه على دينه وأخلاقه وثباته على ولائه لدولته وإعطائه دورة يدرس فيها أحوال تلك البلاد التي سوف يذهب إليها.

٥- أن يقتصر في التخصصات على ما لا يمكن حصوله في البلاد كعلوم بعض الصناعات التي لا يوجد لها نظير في بلادنا كعلوم الذرة، ومتى أمكن جلبها إلى البلاد وجب ذلك حتى يستغنى عن الابتعاث.

٦- عدم تمكين أي جهة حكومية عسكرية كانت أو مدنية وأية مؤسسة حكومية أو تجارية بابتعاث منسوبيها سواء لدورات دراسية أو لدراسة نظامية لنيل شهادة إلا عن طريق جهة الاختصاص في التعليم بعد توافر الشروط للتخصص وصفة المبتعث وسنه وأن يكون حسن السيرة معروفاً بالعقل الراجح.

٧- أن يجلب كل من لا تتوفر فيه الشروط السابقة ويعاد لإكمال دراسته في الداخل سواء من كان على حساب نفسه وذويه أو على حساب الحكومة أو إحدى المؤسسات.

٨- يوكل إلى جهة حق الرقابة على مخالفة ما تقدم وجعل مخبرين في السفارات والملحقيات التعليمية لترفع تقاريراتها عن كل مخالفة، وتعتمد وزارة التعليم العالي وجميع الوزارات والمصالح بإبلاغ الجهة المختصة عن كل مخالفة وإذا تم ذلك على الوجه المطلوب حصل به

إن شاء الله الخير العظيم للأمة في دينها ودنياها والسلامة في عقيدتها وأخلاقها. والله الموفق.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

رئيس الدورة: عبد العزيز بن صالح

عبد الله خياط	عبد الله بن محمد بن حميد	عبد العزيز بن عبد الله بن باز
سليمان بن عبيد	محمد بن علي الحركان	عبد الرزاق عفيفي
راشد بن خنين	محمد بن جبير	إبراهيم بن محمد آل الشيخ
عبد الله بن غديان	صالح بن غصون	عبد المجيد حسن
عبد الله بن قعود	عبد الله بن منيع	صالح بن لحيدان

ملحق (٢)

فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

رقم (٢٣٥٨) بشأن حكم الدراسة في الخارج

س: هل يجوز السفر إلى بلاد أمريكا للدراسة؟

ج: لا يجوز لك أن تأخذ العلم إلا عن أهله الثقات المأمونين، وخاصة العلوم الدينية والعربية، وذلك متوفر بحمد الله في الدول الإسلامية، فلا يجوز لك السفر إلى الدول الكافرة للدراسة بها، إلا فيما لا يتيسر لك دراسته على المسلمين في البلاد الإسلامية من العلوم الدنيوية، كالطب والهندسة ونحوهما، ولم يتيسر استقدام من يضطر إليه من المتخصصين الأمناء في العلوم الكونية إلى الدولة الإسلامية؛ للقيام بتدريسها للطلاب المسلمين، وكانت أمتك مضطرة إلى هذه العلوم، لتكتفي بأبنائها بعد التخرج في القيام بما تحتاج إليه عن استقدام كفار يقومون به، وكنت في نفسك مُحَصَّنًا في دينك بالثقافة الإسلامية، لا يخشى عليك من الفتن أيام دراستك في بلاد الكفار، وإقامتك مدة الدراسة بين أظهرهم، فيجوز لك حينئذ أن تسافر للدراسة في بلاد الكفار، وأمريكا ونحوها في ذلك سواء.

الرئيس: عبد العزيز بن باز

عضو

عضو

عضو

عبد الرزاق عفيفي

عبد الله بن غديان

عبد الله بن قعود

ملحق (٣)

بيان الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد
خطر التوسع في الابتعاث على بلاد الحرمين

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله
نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد ، فقد حصل في السنوات الأخيرة الاتجاه إلى التوسع في
الابتعاث للدراسة الجامعية خارج البلاد فيما دون الدراسات العليا ، وهو
أمر غير محمود تخشى عواقبه الوخيمة على هذه البلاد في دينها وأخلاقها ،
وقد قلت في كلمة سابقة : " وإن مما يؤسف له الاتجاه في الآونة الأخيرة إلى
التوسع في ابتعاث الطلاب للدراسة في بلاد الغرب وغيرها ، فيزداد بذلك
الطين بلة والخرق اتساعاً ، وتزداد بذلك أعداد المستغربين الذين تتلوث
أفكارهم بما يُلقى عليهم في الغرب من شبهات ، وتفسد أخلاقهم بما هو
مبذول عندهم من شهوات ، فيرجعون بعقول غير العقول التي ذهبوا بها
وأخلاق غير الأخلاق التي ذهبوا بها ، ويزهدون فيما في بلادهم من
أخلاق كريمة وفطر مستقيمة وتقيد بالأحكام الشرعية التي أتى بها سيد
البرية صلى الله عليه وسلم ، وقد قلت للملك فهد رحمه الله إبان ولايته
للعهد عقب وفاة الملك فيصل رحمه الله عندما كنت مسئولاً في الجامعة
الإسلامية بالمدينة ، قلت : (الملك فيصل رحمه الله قتله الابتعاث) ؛ لأن
الذي قتله تلوث فكره في الغرب ، ولا يُنكر وجود فئة من الذين ابتعثوا في
الماضي حفظهم الله من الذوبان والاغترار بالغرب ، فرجعوا سالمين ولكنهم

قلة قليلة ، فلا يهون أمر الابتعاث بالإشارة إلى هذه النماذج ؛ لأن النادر لا حكم له ، وبحمد الله حصل التوسع في عهد خادم الحرمين الملك عبد الله حفظه الله بافتتاح الجامعات حتى شملت مناطق المملكة كلها على وجه لم يسبق له مثيل ، وبذلك يمكن الاستغناء عن الابتعاث ، ويبقى أبناء هذه البلاد فيها فلا يُخَرَّجون من النور إلى الظلمات .

وقد كتبت في هذا الموضوع رسالة إلى معالي وزير التعليم العالي في (١٤٣١/٥/٥هـ) مما جاء فيها : "والمأمول من معاليكم العمل على توجيه الدارسين فيما دون الدراسات العليا إلى الدراسة في جامعات المملكة عند أهلهم وذويهم وعدم تمكينهم من الدراسة في بلاد الغرب ؛ وكذا الدارسين في الدراسات العليا في التخصصات المتوفرة في المملكة ؛ لما في بقاء الجميع في بلادهم من السلامة والعافية من الشرور ، ومما هو متعين في حق المبتعثين متابعتهم وإعادة من يحصل له منهم انحراف ، ومن اهتم بالابتعاث وسعى إلى التوسع فيه واقترح له اسم "مشروع خادم الحرمين للابتعاث" للتقوي بهذه التسمية والتوسع في الابتعاث بسببها فإن مسؤوليته عند الله عظيمة ومصيبته كبيرة ، ومن الخير لكل مسلم ناصح لنفسه ولغيره أن لا يكون سبباً في أعمال تعود آثارها السيئة عليه وعلى غيره في القبر وما بعده ."

وقد سمعت في إذاعة البرنامج الثاني من جدة قبل عصر يوم الجمعة (١٤٣١/٥/٢٣هـ) امرأة تُبدي فرحها وتشرفها بتعيينها مُلحقاً في إحدى سفارات المملكة في إحدى الدول الغربية ، من مهماتها : الإشراف على المبتعثين ومعها نساء يتحدثن معها ويهنئنها على التعيين في هذا العمل ، تبين في آخر حديثهن أن اسمها سحر أو سمر محمد السقاف فإن كان هذا الخبر صحيحاً فتلك مصيبة وهو من نماذج انفلات النساء في هذه البلاد ، وفي هذا

زيادة في مفسدات الابتعاث وهو أن يتولى الإشراف على المبتعثين امرأة فيجمع بهذا للمبتعثين إلى أضرار الابتعاث أن يلي أمرهم امرأة وقد قال صلى الله عليه وسلم: **لما أفلح قوم يلي أمرهم امرأة**^(١).

وجاء في بعض الصحف الالكترونية أن ثلاثين من المبتعثين من هذه البلاد ارتدوا عن الإسلام ودخلوا في النصرانية، وقد أشارت إلى هذا الخبر كاتبة في صحيفة الوطن في تاريخ (٢٧/٤/١٤٣١هـ) وهونت من شأن الردة وقالت: "اختلف الفقهاء في حكم المرتد عن الإسلام والآراء الأقوى هي التي تترك (كذا) للإنسان حرية الاختيار حتى لو ولد من أبوين مسلمين، وما دام لا يقوم بأية خيانة للجماعة المسلمة فليس عليه أية عقوبة" وهذا القول من هذه الكاتبة يبين التناهي في الفوضى في الكلام في الأحكام الشرعية إذ يُقدم على الكلام فيها بجهل كل من هب ودب.

وأسأل الله عز وجل أن يوفق المسلمين لما فيه صلاح دينهم ودنياهم وأن يحفظ شباب المسلمين في بلاد الحرمين وغيرها من كل شر وأن يوفقهم لكل خير وأن يقي بلاد الحرمين حكومةً وشعباً شر الأشرار وكيد الفجار، إنه سميع مجيب.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

١٨/٧/١٤٣١هـ.

عبد المحسن بن حمد العباد بدر

(١) رواه أحمد (٢٠٥٠٨) واللفظ له. والبخاري (٤٤٢٥) من حديث أبي بكره رضي الله عنه.



النتائج:

- بدأ الابتعاث في القرن الثالث عشر الهجري سنة (١٨١٣م) حيث جرى تسيير أول بعثة إلى أوربا من مصر في عهد (محمد علي). ثم تتابعت البعثات من الشام والجزيرة العربية وغيرها.
- للابتعاث غير المنضبط آثار عقدية وأخلاقية واجتماعية وسلوكية سيئة تعود على المبتعث وأسرته ومجتمعه. ولذا يراهن المستغربون على الابتعاث في تغيير هوية المجتمع المسلم وثقافته ومفاهيمه، ويدعون المبتعث إلى أن يستفيد من الثقافة الغربية وينفتح عليها ويأخذ بها.
- بدأت الحركات الثورية التحررية المناهضة لحكوماتها من قبل بعض المبتعثين للغرب، كما نشأت حركة تغريب المرأة في العالم الإسلامي على يد ضحايا الابتعاث، ولا يزال صرعى الحضارة الغربية يبشرون بها في المجتمعات الإسلامية.

- من آثار البعثات العلمية إضعاف الانتماء الوطني أو قطعه، وذلك ناتج عن طول الإقامة في بلد الدراسة مع الإعجاب بها، فيتولد لدى المبعث احتقار بلده والتصغير من شأنها. مع الرغبة في الإقامة الدائمة في تلك البلاد. فيصبحون بعد ذلك جزءا منها، وبعد ذلك يتعذر عليهم أن ينفصلوا عنها بسهولة.
- من آثار الابتعاث قيام بعض المبعثين بالزواج من أجنبيات، وبعض المبعثات بالزواج من أجانب لأسباب ودوافع مختلفة، وفي ذلك مفسد دينية واجتماعية ظاهرة.
- يركز المستغربون كثيرا على قضيتي رفض الحجاب وتقبل الاختلاط بين الجنسين عند المبعثين. ويتجاهل المتحمسون للابتعاث كل آثاره ومخاطره، بل يعتبرونها محاسن وإيجابيات.
- كتب كثير من علماء الإسلام ودعاته من مصر والشام والعراق والهند والجزيرة العربية وغيرها محذرين من الابتعاث، موضحين خطورته على الدين والأخلاق، والتصورات والمفاهيم.
- دعت شخصيات، وأقلام غيرة إلى ترشيد الابتعاث وتنظيم البعثات العلمية، بما يكفل التخفيف من آثاره ومخاطره.

التوصيات:

- مراجعة برامج الابتعاث على ضوء قرار مجلس هيئة كبار العلماء ذي الرقم (٨٨) والتاريخ (١١/١١/١٤٠١هـ) الواجب الاحترام والتنفيذ.
- إعادة النظر في الابتعاث وفق الحاجة وتبعا للمصلحة ورعاية لدين المبعثين وأخلاقهم، وتجنباً لآثار الابتعاث السياسية والأمنية.

- حظر ابتعاث المراهقين وصغار السن والفتيات لما يترتب على ذلك من المفساد الظاهرة المتحققة.
- أن يكون الابتعاث في التخصصات النادرة، وفي العلوم التي لا توجد في بلاد الإسلام، والحذر من الابتعاث لدراسة الآداب والتربية بفروعها المختلفة، والأخطر من هذا دراسة الشريعة أو بعض فروعها.
- أن يتداعى الصادقون والمخلصون للنهوض بمستوى الجامعات وتشجيع البحث العلمي ومراكزه لتكون بديلا عن الابتعاث، وسبيلا لتوطين التقنية.
- تكثيف برامج التوجيه والتوعية الدينية للمبتعثين عن طريق الملحقيات والمؤسسات الدعوية، وإعداد برامج عملية لحماية المبتعثين من الانحراف والتردي.
- يجب إعداد المبتعث وتأهيله تأهيلا مناسباً قبل ابتعائه عن طريق الدورات المكثفة المتخصصة.
- وأخيراً... فإن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع، فليقم كل مسئول بما أوجب الله عليه من حفظ الأمانة، ورعاية المسؤولية، والصدق في الأداء، والإخلاص فيما عهده إليه.
- وإن من النصح للنفس، والصدق مع الذات، أن نقر بالخلل، ونعترف بالخطأ، ونسعى إلى سده وإصلاحه.
- ولينظر الإنسان فيما يترتب على فعله من التبعات التي تتعلق بالأمة والمجتمع، فإن كانت خيراً فليحمد الله عليه، وإن كانت شراً فلا يلومن إلا نفسه، وليحذر أن يأتي يوم القيامة وقد تحمل أوزار غيره ﴿لِيَحْمِلُوا

أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلِيسَاءَ مَا
يَزُرُّونَ ﴿النحل: ٢٥﴾.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ،
وصلّى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه .

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

البقرة

- ﴿أَسْجُدُوا لِلَّهِ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ ٣٤ ٣١
 ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ ٢٥٦ ١١٠

ال عمران

- ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بِقِنطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بِدِينَارٍ لَا يُودِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ ٧٥ ١٣
 ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ ٨٥ ٧
 ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ ١١٠ ٧

النساء

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا﴾ ٩٧ ٢٩

المائدة

- ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ ٣ ٧
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ٥١ ٢٩

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ يَتَوَلَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ٥١ ٤٢

التَّوْبَةُ

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ ٧١ ٢٩

النِّكَاحُ

﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ ٢٥ ١٣٠

الْكُهْفُ

﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ ١٠ ٣٠

﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ ٢٢ ١٢

الْحَجَّ

﴿وَمَنْ يُرِنِ اللَّهُ فَمَالَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ ١٨ ٨

النُّورِ

﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَالَهُ مِنْ نُورٍ﴾ ٤٠ ١٥

الْمَحَالَّةُ

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ ٢٢ ٢٩

الْمُنَافِقُونَ

﴿وَاللَّهُ الْعَزِيزُ الرَّسُولُ ۖ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ ٨ ٧

فهرس الأحاديث النبوية

- أن تعبد الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتناصح المسلمين وتفارق المشركين ٢٨
- أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين ٢٨
- خالف هدينا هدي المشركين ٤٢
- لا تسافر المرأة ثلاثاً إلا ومعها ذو محرم ٨٠
- لا يقبل الله من مشرك عملاً بعدما أسلم أو يفارق المشركين ٣٠
- ليس منا من تشبه بغيرنا ، لا تشبهوا باليهود والنصارى ٤٢
- من بنى ببلاد الأعاجم ٣١
- من تشبه بقوم فهو منهم ٤٢

فهرس المصادر والمراجع

- ١- أباطيل وأسمار، محمد محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط ٢، ١٩٧٢م.
- ٢- الابتعاث إلى الخارج وقضايا الانتماء والاغتراب الحضاري، الدكتور إبراهيم بن حمد القعيد، ط ١، ١٤٠٩هـ.
- ٣- الابتعاث ومخاطره، محمد الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٤- أبناء رفاة الطهطاوي، غي سورمان، ترجمه: مرام المصري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، ٢٠٠٤م.
- ٥- اتجاهات النهضة والتغير في العالم الإسلامي، عباس حسني، مكتبة السلام العالمية، ١٤٠٢هـ.
- ٦- أثر الحضارة الإسلامية في الغرب، الدكتور إسماعيل ياغي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١، ١٤١٨هـ.
- ٧- أثر العرب في الحضارة الأوربية، عباس محمود العقاد، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٣م.
- ٨- أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية، أحمد علي الملا، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط ٣، ١٤١٧هـ.
- ٩- الأحزاب والحركات القومية العربية، فيصل دراج و جمال باروت،

المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، دمشق.

- ١٠ - الأحزاب والحركات اليسارية، فيصل دراج و محمد باروت، المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، دمشق.
- ١١ - أحكام أهل الذمة، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: صبحي صالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٣، ١٩٨٣م.
- ١٢ - أساليب الغزو الفكري، الدكتور علي محمد جريشه و محمد شريف الزبيق، دار الاعتصام، القاهرة.
- ١٣ - الأسطورة والتراث، سيد محمود القمني، سينا للنشر، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٣م.
- ١٤ - الإسلام تاريخ وحضارة، أنور الجندي، دار الاعتصام، القاهرة، من غير تاريخ للنشر.
- ١٥ - الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة، أبو الأعلى المودودي، تعريب: خليل أحمد، دار القلم، الكويت، ط ٤، ١٤٠٠هـ.
- ١٦ - الإسلام وأثره في نهضة الشعوب، محمود عبد الوهاب فايد، دار الاعتصام، القاهرة، من غير تاريخ للنشر.
- ١٧ - الإسلام والحضارة الغربية، الدكتور محمد محمد حسين، دار الرسالة، بيروت، ط ٩، ١٤١٣هـ.
- ١٨ - أضواء على الثقافة الإسلامية، الدكتورة نادية شريف العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٥هـ.
- ١٩ - إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: مشهور سليمان، دار ابن الجوزي، الدمام، ط ١، ١٤٢٣هـ.

- ٢٠- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: ناصر بن عبد الكريم العقل، ط ٧، ١٤١٩هـ.
- ٢١- أنا عائذ من جنوب الجزيرة العربية، أحمد محمد السقاف، من غير ناشر، ط ٢، ١٩٥٦م.
- ٢٢- أوثق عرى الإيمان، سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب، ت: الوليد الفريان، دار طيبة، ط ١، ١٤٠٩هـ.
- ٢٣- إيضاح المحجة والسبيل وإقامة الحجة والدليل على من أجاز الإقامة بين أهل الشرك والتعطيل، إسحاق بن عبدالرحمن آل الشيخ، ت: إسماعيل بن سعد بن عتيق، مكتبة الهداية، الرياض، ط ١، ١٤١٥هـ.
- ٢٤- البعثون في الخليج والجزيرة العربية، الدكتور فلاح عبدالله المدرس، دار قرطاس، الكويت، ط ١، ٢٠٠٢م.
- ٢٥- بين الرشاد والتهيه، مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٣٩٨ - ١٩٧٨م.
- ٢٦- تاريخ التعليم في دولة الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت، ٢٠٠٢م.
- ٢٧- تاريخ اليمن السياسي، محمد يحيى الحداد، دار التنوير، بيروت، ط ٤، ١٤٠٧هـ.
- ٢٨- التبشير والاستعمار في البلاد العربية، مصطفى الخالدي و عمر فروخ، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٦م.

- ٢٩- التجمعات والتنظيمات السياسية في الكويت، الدكتور فلاح المديرس، دار قرطاس، الكويت، ط٢، ١٩٩٩م.
- ٣٠- تخلص الإبريز إلى تخلص باريز، رفاعة الطهطاوي، دار ابن زيدون، بيروت، ط١.
- ٣١- التراث والحداثة، الدكتور محمد عابد الجابري، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
- ٣٢- تطور التعليم في الكويت، فوزية العبد الغفور، مكتبة الفلاح، الكويت، ط٢، ١٤٠٢هـ.
- ٣٣- التعليم المنظم في عهد الملك عبد العزيز نشأته وتطوره، عبد اللطيف بن دهيش، مطبعة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٧هـ.
- ٣٤- التعليم في البحرين، الدكتور وفيقه حمود، مكتبة التربية لدول الخليج، ١٤٠٨هـ.
- ٣٥- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي السلامة، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.
- ٣٦- التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة، الدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل، دار المسلم، الرياض، ط٢، ١٤١٤هـ.
- ٣٧- التنصير مفهومه وأهدافه، الدكتور علي بن إبراهيم النملة، مكتبة التوبة، ط٢، ١٤١٩هـ.
- ٣٨- التوجهات الماركسية في الكويت، الدكتور فلاح المديرس، دار قرطاس، الكويت، ط١، ٢٠٠٣م.

- ٣٩- التيارات الفكرية في الخليج العربي، الدكتور مفيد الزبيدي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
- ٤٠- الجامع في أحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: عبدالله ابن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ.
- ٤١- جذور الانحراف في الفكر الإسلامي الحديث، جمال سلطان، مركز الدراسات الإسلامية، بريطانيا، ط١، ١٤١٢هـ.
- ٤٢- جذور البلاء، عبدالله التل، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٤٣- الجماعات السياسية الكويتية في قرن، صلاح الغزالي، ط١، الكويت، ٢٠٠٧م.
- ٤٤- الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين، الدكتور خالد بن إبراهيم الديان، دار المسلم، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.
- ٤٥- حركة القوميين العرب، محمد جمال باروت، المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، دمشق.
- ٤٦- حزب البعث العربي الاشتراكي، ترجمه: يوسف جباعي ومصطفى دندشلي، ط١، ١٩٧٩م.
- ٤٧- الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، الدكتور توفيق الطويل، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.
- ٤٨- حكم الشريعة المحمدية في تعليم المسلمين أولادهم بالمدارس الأجنبية، حسن المشاط، مطبعة المدني، القاهرة، ط١، ١٣٨٥هـ.
- ٤٩- الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا، الدكتور يوسف

- القرضاوي، مكتبة وهبة، ط ٥، ١٤١٣هـ.
- ٥٠- خصائص جزيرة العرب، بكر بن عبد الله أبو زيد، وزارة الشؤون الإسلامية، الرياض، ١٤٢٠هـ.
- ٥١- دنيا الدين في حاضر العرب، عزيز العظمة، دار الطليعة، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٢م.
- ٥٢- دور العلماء المسلمين في تطوير العلوم، إبراهيم القباني، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، من غير تاريخ للنشر.
- ٥٣- ذكريات باريس، زكي مبارك، الدار العمرية، ط ١، ١٣٥٠هـ.
- ٥٤- ذكريات على الطنطاوي، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، ط ٢، ١٤٠٩هـ.
- ٥٥- رسائل الإصلاح، محمد الخضر حسين، دار كنوز السلف، مصر، من غير تاريخ للنشر.
- ٥٦- رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ١٤٢٧هـ.
- ٥٧- الزواج من أجنبيات وأثره على أبناء الخليج العربي، د. يوسف عبدالفتاح، دار الهلال، بيروت، ط ٢، ١٤١٩هـ.
- ٥٨- السياسة بين الحلال والحرام، تركي الحمد، دار الساقى، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م.
- ٥٩- شمس العرب تطلع على شمس الغرب، زيفريد هونكه، ترجمه: فاروق بيضون و كمال دسوقي، دار صادر، بيروت، ط ١٠، ١٤٢٣هـ.

- ٦٠- الصراع بين الفكرة الإسلامية والحضارة الغربية، أبو الحسن الندوي، دار القلم، الكويت، ط ٤، ١٤٠٣هـ.
- ٦١- صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم، عبدالرحمن بن محمد الدوسري، دار المغني، الرياض، ط ١، ١٤٢٥هـ.
- ٦٢- طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، أنور الجندي، دار الإعتصام، القاهرة.
- ٦٣- العرب في أمريكا... دراسة لتاريخ الهجرة العربية إلى الولايات المتحدة الأمريكية، الدكتور جمال زكريا قاسم، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، من غير تاريخ للنشر.
- ٦٤- العلمانية وثمارها الخبيثة، محمد شاکر الشريف، دار الوطن، الرياض، ط ١، ١٤١١هـ.
- ٦٥- الغزو الفكري أهدافه ووسائله، الدكتور عبدالصبور مرزوق، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة.
- ٦٦- الغزو الفكري في العالم العربي، عبدالله عبدالجبار، المكتبة الصغيرة، ط ١، ١٣٩٤هـ.
- ٦٧- الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، الدكتور عبدالستار فتح سعيد، مكتبة المعارف، الرياض، ط ٢، ١٣٩٩هـ.
- ٦٨- الغزو الفكري.. التحدي والمواجهة، الدكتور إسماعيل علي محمد، دار الكلمة، مصر، ط ١، ١٤٢١هـ.
- ٦٩- الفتاوى والدروس في المسجد الحرام، عبد الله بن محمد بن حميد، اعتنى به: إبراهيم بن علي الحمدان، مكتبة دار المنهاج، الرياض،

- ط ١، ١٤٣١هـ.
- ٧٠- فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم، جمع: محمد بن عبدالرحمن ابن قاسم، ط ٢.
- ٧١- الفروسية، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: زائد النشيري، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٢٣هـ.
- ٧٢- الفكر الاستشراقي وأثره في مناهج التعليم الأزهري، الدكتور محمد بن سعيد السرحاني، مركز بحوث الدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٣١هـ.
- ٧٣- الفوائد العلمية من الدروس البازية، عبد العزيز بن باز، الرسالة العالمية، دمشق، ط ١، ١٤٣٠هـ.
- ٧٤- قاسم أمين الأعمال الكاملة، محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، ط ٣، ١٤٢٧هـ.
- ٧٥- قضايا في نقد العقل الديني، محمد أركون، دار الطليعة، بيروت، ط ١، ١٩٩٨م.
- ٧٦- القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن عثيمين، دار ابن الجوزي، الدمام، ط ١، ١٤١٨هـ.
- ٧٧- لماذا أخفقت النهضة العربية، محمد الوقيدي و أحيدة النيفر، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- ٧٨- لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم، الأمير شكيب أرسلان، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤٢٥هـ.
- ٧٩- مجالات التأثير والتأثير بين الثقافات، الدكتور علي بن إبراهيم

- النملة، ط ١، ١٤٣١هـ.
- ٨٠- مجالي الإسلام، حيدر بامات، ترجمه: عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٦م.
- ٨١- مجموع فتاوى شيخ الإسلام بن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن ابن قاسم وساعده ابنه محمد، الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين.
- ٨٢- مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد العثيمين، جمع: فهد ابن ناصر السليمان، دار الثريا، ط ٢، ١٤١٤هـ.
- ٨٣- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، جمع: محمد الشويعر، دار القاسم، ط ١، ١٤٢٠هـ.
- ٨٤- مجموعة رسائل الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١، ١٤٢٧هـ.
- ٨٥- محاكمة فكر طه حسين.. مراجعة كاملة لمؤلفات طه حسين، أنور الجندي، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٤م.
- ٨٦- المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام، محمود الصواف، دار الاعتصام، القاهرة.
- ٨٧- المدارس الأجنبية في الخليج، عبدالعزيز البداح، من غير ناشر، ط ١، ١٤١٩هـ.
- ٨٨- المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية، بكر بن عبدالله أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، ط ١، ١٤٢١هـ.
- ٨٩- المراسلة بين أبي الأعلى المودودي ومريم جميلة، ترجمة الدكتور

- محمد لقمان السلفي، مكتبة الفرقان، الرياض، ط ١، ١٤١٠هـ.
- ٩٠- المسند، أحمد بن حنبل، شرحه وصنع فهارسه: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ١٣٧٧هـ.
- ٩١- مقابلات مع بعض الطلاب المتبعين لكل من أمريكا وبريطانيا وأستراليا.
- ٩٢- من وحي البعثات السعودية، صالح حريري، دار الكتاب العربي، مصر.
- ٩٣- المنتقى من فتاوى فضيلة الشيخ صالح الفوزان، جمع: عادل بن علي الفريدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ.
- ٩٤- موسوعة تاريخ التعليم في المملكة في مائة عام، وزارة المعارف، الرياض، ط ٢، ١٤٢٣هـ.
- ٩٥- فن والحضارة الغربية، أبو الأعلى المودودي، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٣٩٥هـ.
- ٩٦- نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية، دار الإرشاد، بيروت، ط ١، ١٣٨٨هـ.
- ٩٧- نزيف الأدمغة، الدكتور عطوف محمود ياسين، دار الأندلس، بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ.
- ٩٨- نزيف العقول البشرية، الدكتور محمد عبدالعليم مرسى، عالم الكتب، الرياض، ط ١، ١٤٠٢هـ.
- ٩٩- نصيحة مختصرة في الحث على التمسك بالدين والتحذير من المدارس الأجنبية، عبد الرحمن السعدي، اعتنى بنشرها: عبدالسلام

- آل عبدالكريم، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٩هـ.
- ١٠٠- نقد الفكر الديني، صادق جلال العظم، دار الطليعة، بيروت، ط٩، ٢٠٠٣م.
- ١٠١- نقد النص، علي حرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٤، ٢٠٠٥م.
- ١٠٢- نور من الشرق، إبراهيم كردي، دار الفكر العربي، القاهرة، من غير تاريخ للنشر.
- ١٠٣- هجرة العقول العربية، درة محمد أحمد، دار المنارة، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.
- ١٠٤- هجرة العلماء العرب، الدكتور محمد عبدالقادر أحمد، ط١، القاهرة، ١٤٠٦هـ.
- ١٠٥- هجرة العلماء من العالم الإسلامي، الدكتور: محمد عبدالعليم مرسي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٤هـ.
- ١٠٦- هجرة الكفاءات العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٣، ١٩٨٥م.
- ١٠٧- واقعنا المعاصر، محمد قطب، مؤسسة المدينة للصحافة، جدة، ط٢، ١٤٠٨هـ.
- ١٠٨- الولاء والبراء في الإسلام، محمد بن سعيد القحطاني، دار طيبة، الرياض، ط٦، ١٤١٣هـ.

فهرس الموضوعات

٥	مقدمة الطبعة الثانية.....
٧	مقدمة الطبعة الأولى.....
١١	التمهيد: موقف الإسلام من العلم، وأقسام العلوم.....
١٢	العلاقة بين الإسلام والحضارة المادية.....
١٥	مدرسة الأصالة والتبعية والفرق بينهما.....
١٨	آثار الهزيمة النفسية التي أصيب بها المسلمون.....
٢١	الفصل الأول: بدايات الابتعاث في بلاد الإسلام وأصل فكرته.....
٢١	بداية الابتعاث في مصر.....
٢٢	بداية الابتعاث في الشام.....
٢٢	بداية الابتعاث في الحجاز.....
٢٢	بداية الابتعاث في الكويت.....
٢٣	بداية الابتعاث في البحرين.....
٢٣	التصور العام لبدايات الابتعاث.....
٢٤	أصل فكرة الابتعاث.....
٢٥	رأي آخر في أصل فكرة الابتعاث.....
٢٦	التركيز على العلوم النظرية دليل على انحراف غايات الابتعاث.....
٢٧	الفصل الثاني: آثار الابتعاث.....
٢٩	أولاً: الآثار العقدية.....
٢٩	١ - إضعاف جانب الولاء والبراء.....

- وجوب موالة المؤمنين ومعاداة الكافرين ٢٩
- وجوب الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام ٢٩
- المرجع في مسألة الابتعاث حكم الإقامة في بلاد الكفار ٣٣
- ٢- الدخول في النصرانية ٣٤
- كلام الشيخ أحمد شاكر في ارتداد كثير من المبتعثات في زمانه وتنصرهن ٣٤
- كلام مريم جميلة عن لقاءها بشاب مسلم تنصر ويدعو إلى النصرانية ٣٤
- كلام الدكتور علي النملة في تعرض المبتعثين لحملة تنصيرية قوية ٣٤
- خبر تنصر عدد من المبتعثين ٣٥
- مذيع قناة المجد يؤكد تنصر أربعة مبتعثين في بريطانيا ٣٥
- الدكتور محمد العريفي يؤكد تنصر خمسة من المبتعثين ٣٥
- أحد المبتعثين يناقش زملاءه حول وجود الله تعالى ٣٥
- شيوع الخبر عن تردد المبتعثين على الكنائس والجمعيات التنصيرية ٣٥
- مقالة الدكتور فهد السنيدي في قصة شاب تنصر وغير اسمه ٣٦
- كلام الأستاذ محمود شاكر حول أهداف التنصير الحقيقية ٣٦
- ٣- التشبع بالمفاهيم الفكرية الباطلة ٣٧
- المفهوم الأول: المفهوم الكنسي للعلاقة بين الدين والحياة ٣٧
- ظهور هذا المفهوم في كتابات كثير من المستغربين ٣٨
- كتاب لأحد المستغربين يقرر فيه أن الإسلام رسالة أخلاقية فحسب ٣٨
- المفهوم الثاني: رفض الوحي باعتباره مصدرا للمعرفة ٣٩
- وضوح التأثير بهذا المفهوم في كتابات المستغربين ٣٩
- تلاميذ المدرسة الغربية ونقد النص الديني ٣٩
- ٤- التأثير بالمستشرقين وخدمة الاستشراق ٤٠
- ٥- التشبه بالكفار وتقليدهم ٤١
- المشابهة في الظاهر تدعو إلى الموافقة في الباطن ٤١

- ٤٢ كلام ابن القيم حول حكم التشبه بالكفار
- ٤٣ مذيع قناة المجد يؤكد أن أوضاع المبتعثين مأساوية من جهة التشبه بالكفار
- ٤٤ ثانياً: الآثار الأخلاقية
- ٤٤ وقائع نشرتها الصحف حول الانحراف الأخلاقي الذي وقع فيه المبتعثون
- ٤٥ تأكيد بعض المبتعثين على الحال المتردية التي وصل إليها بعض المبتعثين
- إدارة مكافحة المخدرات تقترح إجراء تحليل عشوائي للطلاب المبتعثين عند
- ٤٦ عودتهم
- ٤٦ كلام للدكتور ميسرة طاهر حول وقوع بعض المبتعثين في إدمان المخدرات
- ٤٦ كلام الدكتور أحمد الشبعان حول وضع المبتعثين الأخلاقي
- ٤٧ قصة شاب مبتعث للدراسات العليا وقع في المخدرات
- ٤٧ وجود المبتعثات بدون محرم والآثار الأخلاقية
- ٤٧ ظهور زواج يسمى "بالمسفار"
- ٤٨ ثالثاً: الآثار السياسية
- ٤٨ ١ - ظهور الحركات الثورية
- ٤٨ كيفية تشكل الأفكار الثورية
- ٤٨ كلام الدكتور محمد حسين حول تأثير المبتعثين بالأفكار الثورية الفرنسية
- ٥٠ نشوء حزب البعث العربي وعلاقته بالابتعاث
- ٥١ البعثية في البحرين وعلاقتها بالابتعاث
- ٥١ التيارات القومية في البحرين وعلاقتها بالابتعاث
- ٥١ التيار الشيوعي في البحرين وعلاقته بالابتعاث
- ٥١ التيارات الثورية في الكويت وعلاقتها بالابتعاث
- ٥١ التيارات الثورية في السعودية وعلاقتها بالابتعاث
- كلام الدكتور نجم عبد الكريم في أن المبتعثين الأوائل كانت لهم مواقف
- ٥٢ معارضة لبلادهم

- التيارات الثورية في اليمن وعلاقتها بالابتعاث ٥٢
- مقالة لأحد الغربيين حول العلاقة بين الحركات الثورية في الخليج والابتعاث ٥٢
- الرد على من يزعم بأن الحركات الثورية أحداث تاريخية وقعت وانقضت ٥٢
- المبتعثون والمبتعثات يتعرضون لبلادهم بسلبية شديدة ٥٤
- أحد المبتعثين يقدم عرضاً مرئياً لزملائه الفرنسيين يتضمن هجوماً على بلاده
- ورموزها السياسية ٥٤
- الدكتور زكي مبارك يشيد بفرنسا والفرنسيين وينتقص مصر والمصريين ٥٤
- ٢- ظهور الحركات الإباحية والتغريبية ٥٤
- كلام لأحد الغربيين حول نشوء حركات التمرد الاجتماعي ٥٥
- تأثير الابتعاث على رفاعة الطهطاوي وقاسم أمين ٥٥
- تأثير الابتعاث على طه حسين ٥٦
- طه حسين وأحمد لطفي السيد أول من طَبَّقَ خطة التغريب في العالم الإسلامي ... ٥٧
- أبناء رفاعة الطهطاوي في الخليج ٥٨
- ٣- القناعة بالنظام الغربي في الحكم والإدارة ٥٩
- ٤- الجانب الاستخباراتي ٥٩
- أحد الأساتذة يكلف مبتعثاً بإعداد دراسة حول أحداث الحرم ٥٩
- رابعاً: الآثار الاجتماعية ٦١
- ١- تغير المفاهيم والقيم الاجتماعية ٦١
- دراسات حول تأثير الإقامة في الغرب على تغير المفاهيم الاجتماعية لدى
- الطلاب المبتعثين ٦١
- وقائع حول تغير نظرة المبتعثين للحجاب والاختلاط بين الجنسين ٦٢
- ٢- الزواج من الأجانب ٦٣
- تقارير حول زواج المبتعثين من أجنبيات والمبتعثات من أجانب ٦٣

- تحذير من الجمعية الخيرية لرعاية الأسر السعودية من تنامي مخاطر ظاهرة الزواج من الخارج ٦٥
- اعتناق شاب مسلم النصرانية نتيجة إهمال والده وتركه مع والدته الأوربية ٦٥
- خامساً: الآثار الأمنية ٦٧
- ١ - قطع الانتماء الوطني ٦٧
- بحث لأحد المختصين الأمريكيين حول رغبة الطلاب المبتعثين في الإقامة في الغرب ... ٦٧
- مبتعثون ومبتعثات يكشفون عن رغبتهم في الإقامة في الغرب ٦٨
- الهجرة أو الإقامة في بلاد الدراسة قديمة ٦٨
- تأكد مخاوف إقامة المبتعثين في بلاد الدراسة بسبب عدم التخطيط السليم
- للابتعاث ٧٠
- ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف طالب وطالبة يحملون الجواز الأمريكي ٧١
- عدد كبير من الأطباء المبتعثين لا يرغبون في العودة إلى بلادهم ٧١
- ٢ - الانضواء تحت الجمعيات والتجمعات المشبوهة ٧١
- مبتعثون يزورون السفارة الإسرائيلية في واشنطن ٧٢
- وكيل وزارة التعليم العالي يحذر من الاختراق السياسي للمبتعثين ٧٢
- أحد المختصين يحذر من مغبة الانحراط في الجماعات والأحزاب ٧٢
- باحث غربي يدعو الدول الغربية للاستفادة من المبتعثين المقيمين في الغرب ٧٣
- السفارات الأجنبية تقدم منحاً للطلاب والطالبات للدراسة في الغرب ٧٣
- ٣ - ما يتعرض له المبتعثون من مضايقات واعتداءات ٧٤
- وقائع اعتداء على بعض المبتعثين ٧٤
- تعرض المبتعثات لاعتداءات بسبب حجابهن ٧٦
- أحد المبتعثين يؤكد أن الملحقيات ليس لها جهد في المتابعة والتوجيه للمبتعثين ٧٦
- أحد المختصين يؤكد أنه لا يوجد اهتمام بتوفير خدمات الإرشاد الاجتماعي للمبتعثين والمبتعثات ٧٦

- دعوى أن أخطار الابتعاث لا تصمد أمام منافعه والرد عليها ٧٧
- ليست هناك رؤية واضحة لأهداف الابتعاث ٧٧
- الفصل الثالث: أقوال علماء الإسلام ودعائه في التحذير من مخاطر الابتعاث .. ٧٩
- الشيخ عبد الرحمن السعدي ٧٩
- الشيخ أحمد شاكر ٨٠
- الشيخ محمد الخضر حسين ٨١
- الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ٨٢
- الشيخ محمود الصواف ٨٢
- الشيخ عبد الرحمن الدوسري ٨٣
- الشيخ عبد الله بن حميد ٨٣
- الشيخ عبد الله آل محمود ٨٤
- الشيخ عبد العزيز بن باز ٨٥
- الشيخ أبو الحسن الندوي ٨٥
- الشيخ علي الطنطاوي ٨٦
- الشيخ محمد بن عثيمين ٨٧
- الشيخ بكر أبو زيد ٨٩
- الشيخ عبد المحسن العباد ٨٩
- الشيخ صالح الفوزان ٨٩
- الدكتور عبد الله التركي ٩٠
- الدكتور عبد الله الركبان ٩٠
- الأستاذ محمد قطب ٩٠
- الدكتور عبد الستار سعيد ٩١
- الدكتور يوسف القرضاوي ٩٢

- الدكتور ناصر العقل ٩٢
- الدكتور علي جريشة ٩٢
- الدكتور إسماعيل محمد ٩٣
- الأستاذ محمد الشريف ٩٤
- الدكتورة نادية العمري ٩٤
- الدكتور عبد الصبور مرزوق ٩٥
- الدكتور عبد الرحمن الميداني ٩٦
- الشيخ محمد الصباغ ٩٦
- الأستاذ عبد الله التل ٩٦
- الدكتور محمد مرسي ٩٧
- الدكتور محمد القحطاني ٩٧
- مضمون قرار مجلس هيئة كبار العلماء بشأن الابتعاث ٩٨
- الفصل الرابع : ضوابط الابتعاث عند الاحتياج إليه ١٠٣
- الفصل الخامس : موقف المستغربين من الابتعاث ١٠٧
- مقالات المستغربين في الإشادة بالابتعاث غير المنضبط ١٠٧
- تركيز المستغربين على قضية المرأة في مسألة الابتعاث ١٠٩
- شخصيات غيرة تدعو إلى ضبط الابتعاث ١١٣
- ملحق (١): قرار مجلس هيئة كبار العلماء بشأن الابتعاث ١١٥
- الضوابط التي وضعها مجلس هيئة كبار العلماء ١١٨
- ملحق (٢): فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، بشأن حكم
- الدراسة في الخارج ١٢١
- ملحق (٣): بيان الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد بشأن خطورة التوسع
- في الابتعاث على بلاد الحرمين ١٢٢

١٢٥.....	الخاتمة
١٢٥.....	النتائج
١٢٦.....	التوصيات
١٢٩.....	الفهارس
١٢٩.....	فهرس الآيات القرآنية
١٣١.....	فهرس الأحاديث النبوية
١٣٢.....	فهرس المصادر والمراجع
١٤٣.....	فهرس الموضوعات